وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 20 أوت 1955 – سكيكدة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة

الإيديولوجيا والسياسة في رواية سيدي جليس لنوار ياسين – دراسة نقدية–

مذكرة ضمن متطلبات الحصول على شهادة ماستر أكاديمي في الشعبة أدبية
تخصص: أدب جزائري

إعداد:
– خديجة بوالوذنين
– سمية قعبور

إشراف:
أ. مبارك خلفة

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة
د– سميرة بن جامع	أستاذ محاضر "ب"	رئيسا	جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة
أ– مبارك خلفة	أستاذ مساعد "أ"	مشرفا	جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة
أ.أنيس فيلالي	أستاذ محاضر "ب"	ممتحنا	جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة

السنة الجامعية: 2023/2022

{يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}

شكر والتقدير

اللهم لك الحمد عدد خلقك ورضا نفسك، وزنة عرشك ومداد كلماتك الشكر الأول والأخير لله سبحانه وتعالى، وهو الأحق بالحمد والثناء فالحمد الله لك يا رب حتى ترضى على العزم الذي أعطيتنا إياه لإنجاز هذا العمل المتواضع، لقوله صلى الله عليه وسلم

" من لم يشكر الناس لم يشكر الله"

فشكرنا الكبير لجميع الأساتذة جامعة أوت الذين صنعوا منا إطارات المستقبل، وكذلك نشكر أعضاء لجنة المناقشة الموقرين على تحملهم مشاق قراءة المذكرة ومناقشتها ونخصص بالشكر والإمتنان الأستاذ الفاضل " مبارك خلفة " على دعمه لنا ونصائحه المفيدة وتوجهاته الراقية كما نتقدم بالشكر إلى كل من كان له يد في إعداد هذه المذكرة سواء من زملاء أو أقرباء....

فشكر جزيلا لكل هؤلاء

وصلى الله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين

إهداء

الحمد الله وكفى والصلاة على الحبيب المصطفى وأهله من وفى أما بعد:

الحمد الله الذي وفقنا لتثمين هذه الخطوة في مسيرتنا الدراسية بمذكرتنا هذه ثمرة الجهد والنجاح بفضله تعالى مهداة إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله وأدامهما نور لدربي.

لكل العائلة حفظ الله وأدمهما، التي ساندتني ولا تزال.

إلى أخي وأختي إلى من ساندني وخطى معي خطواتي، ويسير لي الصعاب

إلى زوجي العزيز الذي تحمل معي الكثير وعان وقوفي في هذا المكان

ما كان ليحدث لولا تشجيعه المستمر لي.

إلى زهراتي وفلذات أكبادي، لجين، إلين، إحسان، إيمان اللواتي حرمنا مني طيلة الفترة التي قضيتها في إعداد هذا البحث

إلى رفيقة دربي خديجة بوالذنين، و إلى أساتذتي أهل الفضل الذين غمروني بالحب والتقدير والتضحية والتوجيه والإرشاد.

إلى كل هؤلاء أهديهم هذا العمل المتواضع.

سائلة لله العلي القدير أن ينفعنا به ويمدنا بتوفيقه

إهداء

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وأصحابه أجمعين إلى يوم الدين.

بسم كل من قال تشجع، ومن العلم تشبع، وفي درب الصواب أتبع أما بعد

بتوفيق من الله لا مني وحفظه من كل سوء يصيبني وبعد جهد كبير وتفاني في العمل أهدي ثمرة عملي إلى من سقاها إلى من كلله الله بالهيبة والوقار.

إلى من علمني العطاء بدون انتظار .. إلى درعي الذي به إحتميت، وفي الحياة به إقتديت ركيزة عمري صدر أماني وكبريائي إلى أبي أطال الله عمره.

وإلى ملاكي في الحياة.... إلى معنى الحب والحنان والتفاني.. إلى بسمة الحياة وسر الوجود إلى التي بحنانها ارتوي وبدفئها احتميت وبنورها اهتديت ولحقها ما وفيت، إلى الشمعة التي تحترق من أجل أن تضيء لي الدرب، إلى من كان دعائها سر نجاحي إلى أغلى الحبايب أمي الحبيبة أطال الله في عمرها

كما أهدي هذا العمل المتواضع

أروع من جسد لي معنى الحياء وعلمني معنى الوفاء بكل معانيه، فكان السند والعطاء، قدم لي الكثير من صور والصبر سأقول لك شكرا ولكنها لن تكفي أشكرك إلى آخر نبض ينبض به قلبي

إلى القلوب الطاهرة الرقيقة والنفوس البريئة إلى رياحين حياتي، إلى سندي وقوتي وملاذي بعد الله ووالدي إلى من علموني علم الحياة إخوتي يحي، يونس، يوسف وأختي الغالية ليندة وأولادها حبيتي الغالية رهف البتول والكتكوت عبد المعز إلى جميع أفراد عائلتي، وخاصة جدتي حفظها الله

إلى من كانوا زملائي وملجئي ، إلى من قضيت معهم أجمل اللحظات، إلى من سأفتقدهم، وأتمنى أن يفتقدوني إلى من جعلهم الله إخوتي بالله ومن أحببتهم بالله صديقاتي، وأخص بالذكر زميلاتي في السكن

(ريان، زهرة، شروق) ولن أنسى شكري الجزيل إلى صديقتي في العمل سمية قعبور التي كان لها الفضل الكبير في إنهاء هذا العمل

مقدمة

مقدمـــــــــــــة:

تعتبر الرّوايّة جنســـا أدبيا متميّزا بمقتنياته السّـــرديّة نثريا ممتدا بتقنياته وفنياته، ونظامه السّـــرديّ المطول ـــــــــ المدروس بعنايّةـــــــــ علاوة على قدرتها الاستيعابيّة في طرح الأفكار وملامسة الواقع في كثير من حيثيلته وأطواره وأبعاده الأيديولوحيّة والفكريّة، ولطلما كان متن الرّوليّة مرآةعاكســـة لهموم ومشـــلكل المجتمعات باختلاف أطره وأنظمته وتفاصيله، مما جعلها قادرة على مسايرة الركب الحضاري والثّقافي من أول صـيغة لها في بدايات القرن التاسـع عشـر إلى أيامنا هذه، فبدأت إرهاصـاتها تنّم في مضـامينها عن عبثيّة فكريّة معبرة عن قيود الكنيسة والضّغوطات التي كانت تمارسها على شعوبها إلى أن صارت الرّوايّة مكمنا أدبيا وركنا محوريا من أركان الإبداع، إذ شكلت نقطة فارقة في مجال الخطاب والسّرديات، فلستطاعت في وقت وجيز أن تضـفي على الأدب صـفة الجماليّة والقدرة التّعبيريّة على مسـتوى بنياتها الدّاخليّة والخارجيّة، وكان لها أن تزيل جل القوالب وتعبّر عن جل الممارسات باختلاف المواضيع والأيديولوجيات والقوالب الموضوعاتيّة المطروحة .

وقد عمدت الرّوايّة الجزائريّة المكتوبة باللّغة العربيّة منذ نشأتها الأولى أيام الستينيات والسّبعينيات مرورا إلى الزّمن الحديث والمعاصر في تبني خطابا سرديا متميّزا بأيديولوجياته حيث تطرقت إلى فترات معيّنة من تاريخ الجزائر العريق، فاتخذت تنهل وتغترف من الموروث الثقافي الجزائريّ بتراثه الشّعبي ـــــــ(الفلكلور الأسطورة، الخرافةـــ العادات والتّقاليد...) ـــــ وحضارته وتاريخه النّضاليّ الطويل (الثورة التحريريّة الكبرى أبان الاستعمار الفرنسي)، وما أفصحت عنه من أحداث ومجريات علاوة على المعطى السّياسي بعد الاستقلال (التّقاتل على السّلطة والاشتراكية، الثورة الزّراعيّة...) وما أنتجته الانتخابات فترة التسعينات من حرب أهليّة أحرقت كل ما حولها ـــــ (العشريّة السّوداء) ـــــ فكانت مرآة عاكسة لهموم الشعب الجزائري وآلامه مبيّنة ومتكئة على صراعاته الأيديولوجيّة الطويلة والمستمرة وأطوار حياته العصيبة، وهو المنهج المتبع الذي ضلت عليه ولا تزال وإن

بدت تظهر بعض ملامح التّغيير في ملامح الرّوايات المعاصرة إلا أنّها مازالت تستند على ذاكرتها التّاريخيّة التي لا تموت

كما هو الشّأن في روايّة سيدي جليس لياسين نوار التي عادت بنا في متنها إلى فترة الاستعمار الفرنسي، وما أفصحت عنه من أيديولوجيات عانى منها الجميع بين متمسك ورافض، وبين مهلل ومتحسر، ومن هذا الطرح ارتأينا أن يكون موضوع مذكرتي موسوما بـــ**"الأيديولوجيا والسّياسة في روايّة سيدي جليس لياسين نوار ـــــــ دراسة نقديّة ـــــــ "**

وللعمل في هذا الموضوع انطلقنا من سببين رئيسيين أولها موضوعي تمثّل في كثرة الصّراعات الأيديولوجيّة بأبعادها المختلفة وخاصة السّياسيّة منها، وهذا ما تجلى لنا في رواية سيدي جليس، مما جعلها تنّم عن قضايا حساسة ومحوريّة أردت الكشف عن أغوارها وسراديبها، والآخر ذاتي تمثّل في اهتمامي بالرّوايّة الجزائريّة وطبيعة مواضيعها.

وللخوض في هذا الموضوع كان لزاما علينّا أن ننطلق من إشكاليّة محوريّة تقودنا إلى فحوى ما سنتطرق إليه في موضوع البحث وتمثلت في الآتي: " ما هي أهم القضايا الأيديولوجية المطروحة في رواية سيدي جليس لياسين نوار؟ وإلى أي مدى استطاعت روايّة سيدي جليس أن تعبر عن المعطى الأيديولوجي السّياسي؟.

أما الفرضيات التي تمخضت عن الإشكاليّة الأم فكانت كالآتي:

ـــــ ما هي أهم الصّراعات الأيديولوجيّة الظاهرة والخفيّة في روايّة سيدي جليس لياسين نوار؟

ـــــــ هل كان للفكر الأيديولوجي الصّوفي أثر في تكريس الاستعمار، وفيما تمثلت مساعي ابن باديس؟.

ـــــــ ما هي أهم التّشكيلات السّرديّة وأبعادها الأيديولوجيّة؟.

وللإجابة عن هذه الإشكالية الجوهريّة وما تبعها من فرضيات كان لزاما علينا نتبع منهجا معينا ألا وهو منهج النّقد الثقافي، متكئين على الوصف والتّحليل، معتمدين في ذلك على مجموعة من المصادر والمراجع كانت بمثابة الرّكيزة المحوريّة التي تدير قوالب البحث، وأبرزها هي:

ـــــــ طارق لوجاني، الرّوايّة العربيّة في الجزائر (دراسة تحليلية).

ـــــ عبد الله العروي، مفهوم الأيديولوجيّة.

في حين لم تكن هناك دراسات سابقة لروايّة سيدي جليس، أما موضوع الأيديولوجيا فهو رائج في السّاحة الأدبيّة، وغير الأدبيّة لما يحمل من قضايا وأفكار تشمل جميع مجالات الحياة، نذكر منها:

ـــــــ أسماء العايب، الخطاب السّياسي في روايّة المحنة العربيّة المعاصرة ـــــــ دراسة في نماذج مختارة ـــــــ رسالة دكتوراه.

ـــــــ وسيلة عنكوش، البعد الأيديولوجي في روايّة تساوى زمن الموت لإبراهيم سعدي، رسالة دكتوراه.

واتبعنا في إنجاز هذا العمل خطة مضبوطة، بدأناها بمقدمة وأنهيناها بخاتمة، علاوة على فصلين الأول نظري والآخر تطبيقي، تطرقنا في الفصل الأول المعنون بالمفاهيم والمصطلحات النّظريّة الأيديولوجيا والسّياسة، فتناول في المبحث الأول ماهيّة الأيديولوجيا والسّياسة، أما في المبحث الثّاني فعملنا على بيان مفهوم كل من الشّخصية والزمان والمكان.

أما الفصل التطبيقي الذي كان موازيا للفصل الأول من حيث عدد المباحث، حاولنا العمل على بيان تمظهر الأيديولوجيا والسّياسيّة، فعنوناه بتجليات البعد الأيديولوجي والسّياسي في روايّة سيدي جليس لياسين نوار، فعملنا في المبحث الأول على تمظهر البعد الأيديولوجي الدّيني والسيّاسي في الرّوايّة، وتطرقنا في المبحث الأخير

لفاعليّة الشّخصيّة وأبعادها الأيديولوجيّة والمشكلات الزّمكانيّة، هذه اختصار خطة بحثنا التي عملنا على تتبع أثرها واستقصاء معالمها.

وبطبيعة الحال لا يخلو أي عمل من صعوبات وعقبات تواجه سبيل البحث، كقلة المصادر والمراجع التي تناولت تحليل الرّوائيّة في حد ذاتها علاوة على قلة الآراء النّقديّة حولها، وكذا صعوبة بيان ماهيّة الأيديولوجيا كفكر ومعتقد رمزي يوظف في الروايّة.

وفي الأخير نتقدم بخالص الشّكر والامتنان للأستاذ والدكتور (مبارك خلفة) لتعهده على هذا البحث منذ أن كان فكرة مضطربة حتى استوي بنصائحه وتوجيهاته، فكان خير عون وسند توجيها وإشرافا وتأطيرا، والشّكر موصول أيضا إلى كل من ساعدني في إتمام هذا العمل سواء من قريب أو من بعيد، فلكم مني فائق الاحترام والتّقدير.

مدخل: ماهية الرواية العربية

مفهوم الرواية:

لغة: روى، يروي، (روى): 1 الحديث: نقله، 2الشعر حمله عن صاحبه وأنشده، 3-الحبل: فتله "الرجل: شدة بالرواء، أي الحبل على الجمل.

الرواية: روى، قصة طويلة، مسرحية[1].

إصطلاحا:

جاء تعريف الرواية في معجم المصطلحات الأدبية بأنها " سرد قصصي نثري طويل يصور شخصيات فردية من خلال سلسة الأحداث والأفعال والمشاهد، وهي شكل أدبي جديد نشأ مع البواكير الأولى بظهور البرجوازية، وما صاحبها من تحرر الفرد من ربقة التبعيات الشخصية وتطور مع اتجاه متنام منذ عصر النهضة فصاعداً. بهدف إلى أن تحل الخبرة الفردية محل التقليد اجمعي باعتبارها الفيصل النهائي في الحكم على الوقائع، فهي الشكل الأدبي الوحيد الذي يعكس ثقافة وأصالة الفرد"[2].

كما يمكننا القول بأن:" الرواية ديوان الأدب الحديث وتماماً كما كان الشعر سجل العرب بكل تفاصيل حياتهم، وناقلاً لمعلوماتهم وفنونهم، وتاريخهم، ها هو اليوم السرد والرواية تحديداً على رأس الفنون السردية"[3].فنجد الرواية تحل محل الشعر حيث أنها أصبحت الوسيلة الأسمى لتعبير عن أفكار العرب وواقعهم وفقاً لأنماط معيشتهم.

مدخل: نشأة الرواية العربية الجزائرية وأهم خصائصها:

"تعتبر الرواية الجزائرية من الفنون العربية، لأن أول ظهور لها كان في أوروبا وبعدها أصبحت فناً عالمياً، حيث أن في الجزائر تعتبر (حكاية العشاق في الحب والاشتياق) لمحمد بن ابراهيم التي كب عام 1849م أول رواية جزائرية، وبعدها تأتي محاولة أحمد رضا حوحو في رواية (غادة أم القرى) في 1947م، أي بعد حواي قرن كامل من الانقطاع وهذا التأخر يعود إلى عدة عوامل منها:

---

[1]-جبران مسعود الرائد، معجم ألفبائي في اللغة والأعلام- المؤسسة الثقافية للتأليف والترجمة، بيروت،ط3، 2005، ص453

[2]-إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر صفاقي، الجمهورية التونسية، ط1، 1986، ص177.

[3]-إشراف نبيل حداد، تحرير محمود دباسة، تداخل الأنواع الأدبية، مؤتمر النقد الدولي الثاني عشر، عالم الكتب الحديثة، جامعة اليرموك، ط1، مج2، 2005، ص836.

- الظروف السياسية والاجتماعية التي كان يعيشها الشعب الجزائري بسبب الاستعمار الفرنسي، فكان الأدباء يعتمدون على الشعر والقصة القصيرة للتعبير عن معاناتهم.
- معاناة الشعب الجزائري من الجهل والأمية والحرمان، أدى إلى عدم وجود فئة مثقفة تتلقى هذا الفن وتدعم أسسه.
- جل الروائيين الجزائريين كانوا يكتبون بلغة فرنسية، أمثال محمد ديب، كاتب ياسين، مولود فرعون....وغيرهم، وهذا سبب تأخر الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية.
- صعوبة هذا الفن واحتياجه إلى الصبر والتأمل الطويل، مع انعدام نماذج روائية جزائرية مكتوبة بالعربية يمكن النسخ على منوالها"[1].
- استطاعت الرواية الجزائرية أن تثبت وجودها في الساحة الأدبية بشكل قوي حيث نجد أن في فترة الخمسينات روائيون يكتبون بلغة فرنسية وتميزوا بالموهبة الأصلية والعبقرية الفذة في النتاج الأدبي مع العمق في التعبير والذوق الحسن[2].

يعود تأخر ظهور الرواية العربية في الجزائر إلى عدة عوامل منها:

- الظروف السياسية والاجتماعية التي كان يعيشها الشعب الجزائري بسبب الاستعمار الفرنسي، فكان الأدباء يعتمدون على الشعر والقصة القصيرة للتعبير عن معاناتهم.
- معاناة الشعب الجزائري من الجهل والأمية والحرمان، أدى إلى عدم وجود فئة مثقفة تتلقى هذا الفن وتدعم أسسه.
- جل الروائيين الجزائريين كانوا يكتبون بلغة فرنسية، أمثال محمد ديب، كاتب ياسين، مولود فرعون....وغيرهم، وهذا سبب تأخر الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية.
- صعوبة هذا الفن واحتياجه إلى الصبر والتأمل الطويل، مع انعدام نماذج روائية جزائرية مكتوبة بالعربية يمكن النسخ على منوالها"[3].

[1]-لوحاني طارق، الرواية العربية في الجزائر، دراسة تحليلية، دت، دط، ص06.

[2]-المرجع نفسه، ص04.

[3]- لوحاني طارق، الرواية العربية في الجزائر، دراسة تحليلية، دت، دط، ص06.

ورغم كل هذه العوائق نجد أن الرواية الجزائرية استطاعت أن تثبت وجودها في الساحة الأدبية بشكل قوي حيث نجد أن في فترة الخمسينات روائيون يكتبون بلغة فرنسية وتميزوا بالموهبة الأصلية والعبقرية الفذة في النتاج الأدبي مع العمق في التعبير والذوق الحسن"[1].

لكن هذه الرواية شهدت سجالاً نقدياً، فهناك من اعتبرها رواية فرنسية الأصل وهناك من يرى أنها رواية جزائرية كتبت بلغة العدو، لتعبر في المقابل عن معاناة الجزائري من فقر وجهل وتشرد وبؤس وحرمان، مثل: محمد ديب في ثلاثيته الشهيرة "دار الكبيرة1952، الحريق 1954، المنوال 1957" وكذلك مولود فرعون في روايته: "بن الفقير 1950، الأرض والدم 1953"[2].....وغيرهم من الروائيين الذين حاولوا الكتابة للتعبير عن رفضهم لهذا المستعمر، حيث " شنوا حرباً على العدو بالكلمة والعلم"[3]. فبقيت أسماء هؤلاء الروائيين خالدة إلى يومنا هذا، فقد ترجمت جل أعمالهم إلى العربية، هذا كان بالنسبة للرواية الجزائرية التي كتبت بالفرنسية.

أما إذا رجعنا إلى الرواية الجزائرية باللغة العربية، نجد أن المؤرخين ينقسمون إلى قسمين، فهناك من يرجع نشأتها إلى مرحلة ما قبل الاستقلال وذلك من خلال ثلاث نصوص:

عادة أم القرى لأحمد رضا حوحو 1947، الطالب المنكوب لعبد المجيد الشافعي 1951، الحريق 1957، وهناك من يؤرخ لها من صدور رواية ريح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة 1971 والذي عده التاريخ رائد الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية، ويأتي بعده طاهر وطار، محمد العالي عرعار، واسيني الأعرج، ابراهيم سعدي وبشير مفتي....وغيرهم مى الروائيين الجزائريين الذين أبدعوا بعدهم، وهناك من تجاوز عتبة النص الواحد[4]. فإذا أحصينا عدد الروايات الجزائرية من بداية السبعينات إلى غاية 2000 نجد كماً هائلاً، وهذا إن دل فهو يدل على تطور الرواية في الجزائر في وقت قصير وللتوضيح نقدم الجدول التالي[5]:

الفترة	1979/1970	1989/1980	1991/1990	2004/2000
عدد النصوص	18	69	25	34

[1]-المرجع نفسه، ص04.

[2]-المرجع نفسه، ص04.

[3]- المرجع نفسه، ص04

[4]-قايد محمد، سحنين علي، أبحاث في الرواية ونظرية السرد، طاكسندج كوم للنشر والتوزيع، الجزائر، دط،2014، ص60-61.

[5]-المرجع نفسه، ص62.

والرواية الجزائرية كغيرها من الأنواع الأدبية تتميز بخصائص معينة نذكر منها:

-أنها رواية تاريخية بالدرجة الأولى، لأنها تعرض موضوعات المقاومة والنضال، فأصبحت جل أعمال الروائيين تقوم على محور رئيسي، وهو وقائع الحرب التحريرية الكبرى.

-جاءت كتوثيق للتاريخ أكثر من اعتبارها عمل أدبي فني، فهي كانت ترصد لنا المشاكل الاجتماعية، السياسية والاقتصادية في فترة الاستعمار.

تقديس الثورة وتمجيدها ما جعل الرواية الثورية النضالية تحتل المراتب الأولى، فقد صورت لنا بشاعة الحرب وفضاعتها في عنقها الشديد، وتمجيد أبطالها والمعارك التي قاموا بها ضد العدو، أمثال عبد المالك مرتاض ومحمد مفلاح.....[1].

-اهتمامها بالآثار النفسية والاجتماعية التي خلفها الاستعمار في الشعب الجزائري.

-طغيان الموضوعات السياسية خاصة عند طاهر وطار.

-اهتمام بالمرأة الجاهلة أكثر من المرأة المتعلمة، لأن كان لها حضور قوي أثناء الثورة وذلك بمساعداتها للثوار.

-اهتمام الروائيين بأوضاع الشعب الجزائري أثناء الثورة الزراعية، حيث انقسم الشعب إلى طبقتين متميزتين هما: طبقة الأثرياء المكونة من فئة الإقطاعيين وطبقة الفقراء الذين يعيشون أوضاع بائسة ومزرية، مثال رواية الزلزال لطاهر وطار.

-انقسام الروائيين إلى قسمين هناك من كان له اتجاه ايديولوجي، وهناك من ارتبط بالحركة التحررية للشعب.

-إضافة إلى ذلك نجد أن الروائيين اعتمدوا على أسلوب واضح، ولغة بسيطة يفهمها الجميع القراء، أما الحوار فكان مكثف.

-وجود تقنية التذكر والاسترجاع خاصة لأحداث الثورة، لأنها لم تصلنا إلا بعد عشرة سنوات من الاستقلال، أما الاستباق كان نادراً وبالنسبة للأماكن في معظم الروايات كانت حقيقة.

[1]-لوجاني طارق، الرواية العربية في الجزائر، دراسة تحليلية، ص10-11.

-جل الأعمال تحمل نهاية معروفة أي مأساوية أم سعيدة[1].

بما أن الرواية تعبر عن الواقع والمجتمع، وهذا الأخير يتطور من زمن إلى آخر ومن هنا فالرواية تتطور بتطور المجتمع، فنلحظ على الرواية الجزائرية ملامح التجديد التي نعدها في النقاط التالية:

- ✓ هيمنة الضمير في الرواية الجزائرية المعاصرة بدل الضمير الغائب.
- ✓ وجود لغة إيحائية تصويرية غير مباشرة تحتاج إلى تأويل.
- ✓ إختفاء البطل الخارق وظهور بطل الاجتماعي، مع الاهتمام بالشخصيات المهمشة والمنبوذة.
- ✓ ميلاد نصوص روائية إيديولوجية للروائيين لمواقفهم.
- ✓ انفتاح بعض الروائيين على التراث أمثال: واسيني الأعرج.
- ✓ الإغراق في العجائبية.
- ✓ الاشتغال على المحن المعاصرة كالعشرية السوداء أمثال: أحلام مستغانمي في روايتها" الأسود يليق بك" والربيع العربي" ياسمينة خضرة في روائية" أخر لقاء مع القذافي".
- ✓ الإغراق في تناول طابو الجنس، أمثال: رشيد بوجدرة.
- ✓ أما على المستوى الفني نجدهم ابتعدوا عن السرد الخطي المتسلسل ولجو إلى الفوضى في تقديم الأحداث.
- ✓ استنادهم على جماليات التفكيك وتفجير منطق الحبكة.
- ✓ مخاطبة القارئ ومحاولة محاورته، مما يحطم مبدأ الإسهام لواقع الرواية.
- ✓ اعتمادهم على الأمكنة الرمزية التخيلية.
- ✓ جعل جميع الشخصيات الرئيسية أبطال مثل: "رواية قليل من العيب يكفي لزهر ديك"[2].

- ✓ كان ولا يزال إبداع العقل البشري ماثلا في سمو أفكاره وأثر صنائعه الكونية وهي تترع إلى إعادة صناعة باراديغم الحياة، ومنهل الإنسانية، إذ تتجاوز عقبات الحياة. كثيرة هي ومتعددة تشعبات الثقافة الكونية التي رامت ديدن إخراج البشرية من الظلمات إلى النور، حيث للعدل مستقر، وللطمأنينة والسلام مقام وحل. الساسة والسياسة، وفنون تدبير شؤون الحياة الفردية والجماعية معالم لا غنى عنها لأجل التمكين لإرساء وتفعيل قيم وأخلاق الإنسان في مملكة الأنسنة. قرأنا مقول القول في اليوتوبيات السياسية القديمة

[1]-المرجع السابق، ص 11-15.

[2]-سكينة مدور، محاضرات في السرد الجزائري المعاصر-مظاهر التجريب الروائي في الرواية العربية- ثانية ماستر- أدب حديث، 2016.

والحديثة والمعاصرة، وكذا نستقري أشكالا من التعبير عن خيلاء العقل السياسي المنفتح في أزمنتنا الراهنة. ولا شك أن الرواية السياسية قد فرضت لنفسها موضعا يضاف إلى تموضعات القراءات السياسية التي عرض لها الفكر الأنتلجنسي في عالمنا العربي، مثيل أو مخالف لما عهدناه في الثقافات الغربية. نوار ياسين أيقونة وسمت بسمة الإبداع والفنية الأصيلة، إذ يحاكي من أعماق وجدانه مماه أفكارا بأخبار عن ملحمة أصلت لإرث حضارة جمعت بين نفحات الزمن وسحر المكان بضجر الحياة الملهمة لروح التقدم والنماء.

لما الرواية السياسية: في الواقع لا يمكن حصر حقول الرواية السياسية قصرا على أيديولوجية أو مذهب، أو أي من المدارس الأدبية الكلاسيكية أو المعاصرة، ذلك أن الرواية السياسية مجذوبة إلى حقل مجالي هو الواقع السياسي لمجتمع، الذي سمته الشمولية والانفتاح. يختص في مقامه المناظرة والحوار والسجال، وحتى المجادلات موصولة بقضايا راهنية أو استباقية وكذا الاستئناس بالمرجعيات التاريخية إذ يقتضي المقام تأصيل الخطاب الروائي السياسي. وإجمالا فإن القضية السياسية يناظر أقطابها ضدا أو اتفاقا بخصوص مسألة عارضة، لأن عقلة الخطاب السياسي يستوجب تفعيل الحياة السوسيوثقافية سجالا وحوارا وجدالا. وتراعي الرواية السياسية منطوق الخطاب المرسل موصولا بمقتضيات وحاجيات المخاطب. ولعل هذا ما عناه عبد الله العروي إذ أقر بأن هذا المفهوم يتصل بميادين عديدة، أهمها المناظرة السياسية، التي تستوجب الإخلاص والوفاء والتضحية، دونما وصلها بالغايات البراغماتية المادية. مثلما أن الأيديولوجيا يغذيها المتكلم والمخاطب أيضا، ولكل من الطرفين أيديولوجية مناقضة لأيديولوجية الخصم. وللأيديولوجيا معنيين أحدهما إيجابي مثل المناظرة السياسية، وآخر سلبي مثل السياسة التي تقوم الاستغلال بطرق خفية للوصول إلى أهداف شخصية مقطوعة الصلة عن الغايات المجتمعية.

مفهوم الرواية السياسية: يعتبر الحقل السياسي من بين أهم الميادين البحثية في عصرنا الراهن، إذ تستحوذ على معظم خطابات وقراءات الباحثين والكتاب، ممن لجئوا إلى تبني قضايا مجتمعهم أكثر من أي اهتمام غيره. فقد أبانوا عن نهجهم بنهج أساليب علمية وفنية للتعبير عن أفكارهم ورؤاهم تجاه واقعهم السياسي، من خلالا لاستئناس بفن الرواية. ولا شك أن الرواية في الأدبيات السياسية تجلت في حضارتين: الغربية والعربية.

ويعرفها طه وادي في كتابه 'الرواية السياسية فيقول: " هي الرواية التي تلعب فيها القضايا والموضوعات السياسية دور الغالب بشكل صريح، أو رمزي. وكاتب الرواية ليس منتميا بالضرورة إلى حزب من الأحزاب السياسية

لكنه صاحب أيديولوجيا يريد أن يقنع بها قارئه بشكل صريح أو ضمني[1]" إنها الرواية التي تهتم بالقضايا السياسية أكثر سواء بلغة مباشرة أو غير مباشرة، ومن المستحسن أن يكون للكاتب وجهة نظر سياسية. وذلك من خلال توجيه أيديولوجي محاولا إقناع القارئ به. ونجد أيضا الناقد السيد حامد النساج معرفا الرواية السياسية بقوله: " رواية نقد ومعارضة واحتجاج، وهي رواية ضد السلطة أيا كان شكلها، وهي رواية تحرر شامل، مادتها معاناة لموضوعات السلطة للوطن والانتماء السياسي[2]. هذا ويعتقد عبد الله العروي بأن هذا المفهوم يتصل بعدة ميادين أهمها المناظرة السياسية، والتي تقوم على الإخلاص والوفاء والتضحية، دون أي مقابل مادي، كما أن الأيديولوجيا يغذيها المتكلم و المخاطب أيضا، ولكل من الطرفين أيديولوجيته المتناقضة مع أيديولوجية الخصم. إن للأيديولوجية معنيين أحدهما إيجابي مثل المناظرة السياسية والآخر سلبي مثل السياسة التي تقوم على الاستغلال بطرق خفية للوصول إلى أهدافهم دون مقابل مادي.

الرواية عند العرب: تركت الرواية العربية لها أثرا وحيزا في تراث الفكر والأدب العربي إذ تحاكي التاريخ الموصول بذاكرات الشعوب والقبائل والجماعات الصغيرة والكبيرة، وقد كان لحضور الرواية في الفن المحاكاتي دور إستيطيقي يحمل معه دلالات ثقافية وسوسيولوجية، متجدرة في أركيولوجيا الحضارة العربية، كشفت الرواية من خلالها على ثراء وغنى الفكر العربي بألوان من الثقافات والأساليب البلاغية التي حللت وفسرت واقع المجتمع العربي في نكساته وانتصاراته، وفي استشرافاته وفي راهنية اهتماماته المتعددة. ولا شك حينئذ أننا نود تأكيد الطابع المرجعي الفريد للرواية العربية تميزا عن أصول نشأة الرواية الغربية، كذا للرواية مفاهيمها التي تحرر العقل من عقال التقاليد البالية لترقى إلى مستويات النقدية البنائية، التي نتمثلها في البنية المفاهيمية للرواية العربية الحديثة. " تؤكد هذه المفاهيم النقدية على العلاقة غير المباشرة بين الأدبي والمرجعي عن طريق الإحالة. يحيل المقروء لدى القراءة على مرجعي هو في حال الرواية العربية المعيش الذي شكّل الحافز الأساسي لكتابة الرواية، أو الذي استدعت حكايته... هي الرواية التي بدت فنا يستجيب لكل ذلك، لكن ما نحن بحاجة إلى قوله والتي أقبل على محاولة فنّها التخييلي أدباء عرب مع بدايات النهضة والانتقال إلى حياة مدينية مربكة، يتجاوز فيها القديم والحديث بكل مكوّناته وظواهره التي تخص الثقافة والعمارة واللباس والسلوك، ومجمل نظم العيش وتقاليده"[3].ولا ريب أن الرواية المحاكاتية تجاري في دلالاتها ومقاصدها غائيات الحياة ومتطلبات الفرد والجماعة، حينئذ تنعكس تساؤلاتها

[1] - طه وادي: الرواية السياسية، ص 12.

[2] - سيد حامد النساج: بانوراما الرواية العربية الحديثة، دار غريب، القاهرة، مصر، ط2، د ت، ص 223.

[3] - يمنى العيد: الرواية العربية ــ المتخيل وبنيته الفنية ــ دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2011، ص 08.

حول خلخلة المكان وفهم متواليات الزمان في تضايفهما أو في تعقيداتهما، لتنحت الرواية من وحي مشكلات الإنسان والعالم متخيلا فنيا يقوّم الهامش والمركز ليعيد للحياة نسقها وتراتبيتها. وتهذب يمنى العيد إلى تأكيد أنطولوجية الرواية في سردياتها، إذ تقول: " ذلك أنه لئن كانت الحياة هي وبشكل عام عبارة عن سلسلة من المتواليات السردية التي نعيشها، أو كانت هذه الحياة لا تفهم إلا من خلال القصص التي نرويها عنها، فإن سؤال الرواية يصبح سؤالا عن روائية الحكاية التي ترويها الرواية... هذه الحكاية هي هنا، أو التي نعنيها، هي حكاية المهمش، لا بصفته فعلا يوميا وحسب، بل بصفته بنية تاريخية ثقافية، تستدعي الزمان للتفكير في الوجود مع الآخرين، أي في العالم"[1].

و تمثل الرواية اليوم ديوان العرب لدى كثير من الدارسين، وذلك لما تحمله من قضايا الراهن المتعلقة بحياة الإنسان، ذات البعاد المختلفة: الاجتماعية والتاريخية والنفسية والسياسية، وأخرى. الأمر الذي ترتب عنه ظهور أنماط متعددة من الرواية، منها الرواية السياسية، التي هي موضوع بحثنا. ولأن كانت الرواية العربية في أصلها تحاكي الثابت والمتغير في راهن وماضي الفرد والجماعة، فإنها أيضا تترجم فنيا جدليات الحياة بين آمالاها وآلامها، وفي خلال هذا الجدل يتشكل مخاض عسير لميلاد الرواية في ثوب جديد، نصطلح عليه بالرواية التراجيدية، إذ تفسر انتكاسات الهوية والواقع المضطرب في راهنه، موصولا بظروفه ومقتضياته الخاصة. ولنا في تاريخنا المعاصر أحداث ووقائع تجلي هذا الوضع الشاذ الذي غير من فلسفة الخطاب الروائي، ليعيد الروائي من خلاله تمثل جدلية العلاقة بين الأنا والآخر. كذا فهم مفارقة المرجع الحي بالمرجع الميت. " العلاقة بين المرجع الحي أو الأنا بما يعنيه هذا الـــ أنا من هوية وثقافة وتاريخ (غير منغلق على ذاته) وذلك من منطلق افتراضي بأن الشكل الأدبي في تميّزه النوعي، وفي متغيراته البنائية الجمالية، يؤدي وظيفة دلالية تخص هذا المرجع الذي تحيل عليه، وإن كانت تذهب أبعد منه... إن ما جرى في لبنان خلال عشرين سنة من حروب أهلية وضع افتراضي حول الشكل الأدبي ومتغيراته البنائية والجمالية، وما تؤديه من وظيفة دلالية تخص الواقع المعيش، موضع التبصّر قادني إلى التساؤل التالي: كيف للدوال أن تتشكل وتولّد نسق قولها (خطابها) حين تعيش المدلولات حالة الغرق والتكسر والموت، واحتمالات الولادة الأخرى؟... كيف تنتشل الرواية الأدبية ذاتها من هذا الموت لتكون إبداعا يستعيد حضوره في المعيش، ويحاور المرجعي الخاص، دون أن يغرق في زمن دماره؟. فالدمار الذي يعيشه الواقع يطول أيضا

[1] - المرجع نفسه، ص 21.

الثقافي، يمحو معانيه، ويدمر قيمه ويهدم بناءه. وبذلك تعيش الكتابة جذريا صراع القيم التي تشمل الفكر والفن والسياسة والإبداع.[1]".

ولا ريب أن ثمة نقلات توالت على العروض الروائية العربية وهي تحاكي المأمول والمعمول، متدرجة في طرح قضايا الصراع من المحلي إلى الإقليمي (الأممي) مثلما هو الحال في الروايات العربية التي حكت سردا حكاياتها المتوالية عن القضية الفلسطينية، وقد ارتكزت على فهم وتفكيك بعض التساؤلات، نحو: " كيف تتبدى دلالات القضية الفلسطينية في المنظور الأدبي الروائي العربي عامة والفلسطيني العربي خاصة، هل يختلف هذا المنظور، كيف وأين، ولماذا؟ وهل هذه القضية التي تحكي الرواية العربية حكايتها هي، فعلا قضية صراع، وأي معنى نقرأ لهذا الصراع في عوالم المتخيل السردي الروائي العربي؟... القضية الفلسطينية في هذه البداييات السردية الروائية بالنسبة للفلسطيني الذي شهد وعاش وكتب، هي بوضوح قضية اعتداء واحتلال له معنى الجريمة.[2]". إن مقارنات واضحة بين الخطابات الروائية المحلية والعالمية تكشف عن تجانس ومقاربات فنية وفكرية بين أشكال التعبير الخطابية مثل الروايات الثورية التي تحاكي فيها الرواية العربية الثورة الروسية من خلال تجليات رواياتها. " لعبت الرواية العربية نفس الدور الذي لعبته الرواية الروسية في مجتمع القيصرية، بتعبيرها وتأثيرها في حياتنا الفكرية والسياسية والاجتماعية، وليس ببعيد ما هو معروف عن تأثير رواية توفيق الحكيم الشهيرة 'عودة الروح' في ثورة 23 يوليو 1952 وما أسهمت به في تكوين فكر ووجدان قائدها جمال عبد الناصر... فقد ظهرت الاتجاهات السياسية من خلال الفن الروائي، وعبرت الرواية العربية عن القضايا والأزمات والطموحات السياسية من خلال الفن الروائي، وعبرت الرواية العربية عن القضايا و الأزمات والطموحات السياسية التي تصطرع في الضمير العربي" [3] وهكذا فإن الفن الأدبي الروائي العربي إنما بلغ مبلغ الجلاء والنضج والنماء حين اجتمعت في متونه مظاهر التجديد ممتزجة مع التقليد المنتهج بفعل احتكاك الفن العربي بالفن الغربي، ولا ضرر في ذلك لأن الغرب كان سباقا أركيولوجيا في نحت الفن ورسم معالمه، وبلوغ مقاصده. فقد " حاكت الرواية العربية في نشأتها الرواية الغربية، وكانت عقود الأربعينيات والخمسينيات مرحلة نضج وتجدر لهذا الفن في أدبنا العربي، الذي أرسى جملة من

[1] - المرجع السابق نفسه، ص ص 31ــ 32.

[2] - المرجع السابق نفسه، ص ص 92 ــ 94.

[3] - أحمد محمد عطية: الرواية السياسية ــ دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية ــ مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ص 11 ــ 12.

التقاليد الروائية، ويمكن اعتبار الرواية العربية الواقعية مع بداية الخمسينيات المعبّر الأبرز عن هذا النضج، لكن هذا لم ينف كون الرواية العربية بقيت تصدر عن تمثل التجربة الغربية في ضوء متغيرات الواقع العربي"[1].

- ✓ لقد كان مسعى الروائيين العرب تحرير الرواية العربية من عقال التقليد أو المماهاة الكلية، حين استنفدت لاوعيها لتوغل في وعي تحرري، مرتكزه التغيير والإسهام في خلخلة واقع الأمة، توخيا لتقويم النظم وثقافة التعايش الإنسانية، في سياقاتها الفنية الجمالية المعقودة في الأطر الزمكانية. " فمنذ الستينيات أخذت المحاولات التجريبية في الظهور وهي محاولات سعت إلى كسر قواعد الرواية الواقعية، وإلى التحرر من تقاليدها(أي مفهوم الحبكة وما يتلازم معها: البطل، البداية والنهاية..) فكتب 'نجيب محفوظ' رواية 'ميرامار' (1967) وكتب 'إميل حبيبي' 'الوقائع الغريبة في اختفاء أبي النحس المتشائل' (1969) وكتب 'جمال الغيطاني' 'الزيني بركات' (1974) وكتب 'صنع الله إبراهيم' 'نجمة أغسطس' (1973) و'ذات' (1992) وكتب 'إدوار الخراط' 'رامة والتنين' (1979)"[2].
- ✓ عرفها ارفنج هاو بقوله: " هي تلك الرواية التي تلعب فيها الأفكار السياسية الدور الغالب أو التحكمي ، بيد أن توضيح كيفية التحكم تبدو ضرورية، لأن كلمة تحكم تحتاج إلى تحديد، وربما كان الأفضل القول بأنها الرواية التي نتحدث عنها لنظهر علبة أفكار سياسية أو وسط سياسي. إنها رواية تظهر هذا الافتراض دون صعوبة أو تحقيق"[3]. ويتضح من هذا أن الأفكار هنا تمثل موقف سياسي تجاه قضية.
- ✓ السياسة هي التي تعنى بممارسات الأعمال الإنسانية التي تدعم أو تتابع أو تسوي الصراع لمصلحة العامة ولمصلحة الجماعة الخاصة، والتي تستعمل فيها القوة. ولقد عرفها المفكر الفرنسي 'ريمون آرون' بقوله: " دراسة كل ما يتصل بحكومة الجماعات، أي العلاقة بين الحاكم والمحكومين"[4].
- ✓ على شاكلة هذا الخطاب ظلت الرواية العربية فاعلة، مؤثرة في مجرى الأحداث السياسية والاجتماعية، موقظة في الأمة وعيا على نحو متجدد، نازعة بالوعي القومي العربي إلى الالتفاف حول قضايا الأمة العربية، لتأكيد سيادتها القومية وفرض شخصيتها بين الأمم، ترصد آمال الجماهير، تعبد الطريق لمعالم حرياتهم الحضارية، كذا يصبو الخطاب الروائي العربي إلى بلوغ وحدة الخطاب في تجانسه وتغلغله مع

[1] - يمنى العيد: الرواية العربية ـــ المتخيل وبنيته الفنية، 129.

[2]- المرجع نفسه، ص 129.

[3] - هابل عبد المولى طشطوش: الاتجاهات المعاصرة في العلوم السياسية، دار البلدية، ناشرين وموزعين، 2014، ص 15.

[4] - هابل عبد المولى طشطوش: الاتجاهات المعاصرة في العلوم السياسية، دار البلدية، ناشرين وموزعين، 2014، ص 15.

خطابات الإنسان الحداثي، بمنآى عن كل عنجهية أو بربرية انتكاسية. لقد ظلت الفعالية الفكرية منصهرة مع روح المقاومة الوجدانية ليمتزج الفن مع الفكر في صورة رؤية اجتماعية ثقافية تقدمية. كذا مكّن هذا التحرر أن قاد الأمة العربية " إلى أصالتها وعروبتها، ودفع الروائيين العرب المحدثين إلى التحرر من الشكل الروائي الغربي، والعودة إلى ينابيع الفن الروائي في تراثنا العربي، وأدركوا مدى الهوة الفاصلة بين تراثنا القصصي العربي والرواية العربية الحديثة، وتبيّنوا غربتهم في الأشكال الغربية النابعة من ثقافة غربية وحضارة غربية. ووجدوا في تراثنا العربي الأشكال والموضوعات والقيم والأساطير والحكايات والرموز العربية الأصيلة"[1].

- ✓ **الرواية عند الغرب:** اقترنت بواكير نشأة الرواية السياسية في طفولتها بمحاكاة واقع الحياة المعيش، إذ لم تكن المحاكاة مألوفة، لذا جرّ الفكر الروائي شذوذا حدا عن الواقعية الاستكانية، ليترع إلى انتهاج الرمزية، وإلى التمثل الواقعي السحري، ليمتزج فيها الخيال ببلاغة الخطاب. " معلوم أن تاريخ أوربا القديم والحديث قد مر بمراحل مختلفة كانت اللاحقة نتيجة لسابقتها إلا ان مرحلة عهد آباء الكنيسة وما تلاها: عصر النهضة بشكل خاص قد نقل المجتمع من عصور العبودية والإقطاعية إلى العصر الحديث المسمى بعصر الأنظمة الرأسمالية ومن ثمة الأنظمة الإشتراكية. ولقد وجدت الرواية مكانا فسيحا لتخرج إلى النور منتقلة مع انتقال المجتمع من مرحلة إلى أخرى". قد كان المجتمع الأوربي آنذاكيجاري النماء الأيديولوجي وهو يستثمر من أفكاره صدى الصراع الأيديولوجي، ليترجم واقعا جديدا لتطلعات الانسانية المستجدة. " تولدت الرواية من وجهة نظر المضمون عن الصراعات الأيديولوجية التي خاضتها البورجوازية الصاعدة ضد الإقطاعية الغاربة شمسها، لكن التناقض الحاد مع عالم القرون الوسطى لا يحول دون انفتاح الرواية التي على وشك أن ترى النور على كل ميراث الثقافة الإقطاعية الحكائية"[2](3). لقد ذاع صيت الرواية في أوربا كما في بلاد أمريكا وآسيا لتهيمن على منتجات الأدب الكبير، ولها من شذوذ تعاريف لتقتصر المعاجم والموسوعات على عموميات دلالاتها نحو: " كتب عجائبية تتضمن قصص الحب والفروسية" حسب تعريف فيرتيير. محكيات " مغامرات الحب والحرب العجائبية" حسب

[1] - أحمد محمد عطية: الرواية السياسية ـــ دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية ـــ ص 86.

[2] - سالم لعموش: صورة الغرب في الرواية العربية، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص ص 26-27.

تعريف الأكاديمية الفرنسية (في معجمها سنة 1694). "حكايات تخييلية لمختلف المغامرات الخارقة أو الممكنة في حياة الناس" حسب تعريف جوكور*Jaucourt*والأنسكلوبيديا. ويقول معجم ليتري " حكاية خيالية مكتوبة نثرا، حيث يهدف المؤلف إلى إثارة الاهتمام عن طريق تصوير العواطف والعادات، أو عن طريق غرابة المغامرات". وأما معجم لاروس فيقول: " مؤلف يقوم على الخيال ويتشكل من محكي مكتوب نثرا ذي طول معيّن، تكمن أهميته في سرد المغامرات وعرض الأخلاق أو الطبائع وتحليل العواطف والأهواء"... وتضيف الموسوعة البريطانية: " ضمن هذا الإطار الواسع شمل نوع الرواية عددا كبيرا من الأنماط والأساليب: الشطاري، والرسائلي، والقوطي، والرومانتيكي، والواقعي والتاريخي..."[1]

وقد اختلف النقاد حول تعريف واضح لمصطلح الرواية السياسية، حيث نجد تباين في الآراء، كما نلحظ عدم اهتمام واضح بهذا النوع، وأغلب الجهود النقدية التي عرفتها هذه الرواية تم تصنيفها باعتبارها جهود ليست بذي أهمية إذ لا تسهم في نماء وتطوير الرواية. بدأت أولى ملامح الخطاب الروائي في الغرب على يد جوزيف بلوتنرjoseph plonterفي كتابه: The political novel الذي نشر سنة 1955 والثاني للناقد الأمريكي إرفنج هاو Irving Howeفي كتابه: politics and the novelالذي صدر سنة 1957. وكذا كتاب the twentieth centuryth political novel re-Imaginingلصاحبه الأمريكي ستيوارت شاينجولد. أما الأول فلم يخض بمغامرة التعريف بشكل إيجابي وإنما وضّح ما يكتنف هذا الحديث عن هذا النوع الروائي من صعوبات، وما قد يترلق إليه من محاذير. فهو بذلك حدّد مفهوم السياسة بطريقة غير مباشرة. يقول جوزيف بلوتنر: "إذا حصرنا الرواية السياسية في نشاط بعض المؤسسات كالكونغرس أو البرلمان، وذاك يعني أن نراعي الطابق العلوي السياسي، مقابل تجاهل الطابق الرئيسي والقاعدة التي تسانده"[2]. وقد رأى كل من بلونتر وهاو رأيا متداخلا فرغم انشغالهما على نوع واحد من أنواع الرواية، إلا أن النظرة كانت من زاويتين مختلفتين، إذ يمنح بلونتير الرواية السياسية حق الوجود والاستقلالية، لكنه يرى أنهلا ينبغي " للرواية السياسية أن تتجاهل طبقة من طبقات المجتمع، وأن ترتكز بذلك على اهتمامات ومشاغل طبقة واحدة دون البقية. ينبغي أن يكون الفن هو لسان كل الطبقات"[3]. إذ الأصل أن مرام الرواية السياسية هو الإذعان لاهتمامات كل الطبقات السياسية دون استثناء، بغرض الإلمام بضرورات الإحاطة الفنية بتطلعات الحياة

[1] - بيير شارتيه: مدخل إلى نظريات الرواية، تر، عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 221، ص ص 09

[2] - حمدي حسين: الرواية السياسية في الرواية الواقعية، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 1994، ص 19.

[3] - المرجع نفسه، ص 19.

السياسية في مجتمع سياسي تحيط به ظروف ومقتضيات ظرفية خاصة، إذ تلعب الأفكار السياسية دور تحكمي ضروري.ومن المستحسن أن يكون كتاب الرواية السياسية ذي صلة بالأحداث والوقائع التي يسردها. و يعرفها إرفنج هاو Irving Howe بأنها تلك الرواية التي تلعب فيها الأفكار السياسية الدور الغالب أو التحكمي، بيد أن توضيح كيفية التحكم تبدو ضرورية... وربما كان من الأفضل القول بأنها الرواية التي نتحدث فيها عن علبة أفكار سياسية أو وسط سياسي. إنها تظهر هذا الافتراض دون صعوبة أو تحريف"[1]. والثابت في تاريخ الفلسفة أن الفن الروائي مؤصل فلسفيا إذ سبقت أبحاث الروائيين من الأدباء والشعراء والملحميين إسهامات الفلاسفة لوضع أصول وقواعد هذا الفن ليبتدئ بحقل فلسفة الرواية متدرجا إلى فصل الفن عن الفلسفة. " ولا شك أن هيغل في كتابه 'الإستيطيقا' هو الذي دشن تنظيرا للرواية يربط شكلها ومضمونها بالتحولات البنيوية التي عرفها المجتمع الأوربي خلال صعود البورجوازية وقيام الدولة الحديثة في القرن التاسع عشر. وبالرغم عن قلة الصفحات المخصصة للحديث عن الرواية، فإن ملاحظات هيغل في الموضوع تكتسي أهمية خاصة بالنظر إلى زحزحته للإشكالية الإستيطيقية عما كانت مطروحة عليه عند كانط، وبالنظر إلى اعتماده في تحليلاته على التاريخ وعلى منطق جدلي، أتاح له تجلية الإواليات الكامنة وراء تبدل كثير من العلائق المجتمعية، وكذلك نقد مظاهر الاستلاب المرافقة لسيرورة قيام العالم الحديث."[2].

في خلال هذا التحول التاريخي الممتزج برؤى الخطابات الفلسفية لمنطوق الرواية الحديثة تتوهج الرواية الأوربية تجديدا ونماء وانفتاحا بفضل فلاسفة تنويريين آخرين أعادوا تطوير الرواية، في ظل تحديات راهنية ممتزجة بالحروب وآفاق معقودة من قبل الفكر التحرري لولوج فلسفة التحدي الفنية عبر بوابة الخطاب الروائي، الذي تبناه 'جورج لوكاش' حين رسم معالمه في كتابه: 'نظرية الرواية'. " صدر لوكاش في تحليلاته عن منظور تاريخي ـــــ فلسفي يعكس اهتمامات الفكر الفلسفي الأوربي عند اندلاع الحرب العالمية الأولى. كان لوكاش ينتقل من تأثير كانط إلى جدلية هيغل، متأثرا أيضا بدلتاي، وسيميل، وماكس فيبر... ومن ثمة فإن كتابه في الواقع كان محاولة للبحث عن أفق عالم جديد وبحثا عن مخرج من اليأس الذي حملته الحرب العالمية"[3].

[1] - المرجع السابق نفسه، ص 23

[2] - ميخائيل باختين: الخطاب الروائي، تر محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1987، ص 09.

[3] - المرجع نفسه، ص 10.

الفصل الأول:

المفاهيم والمصطلحات النظرية للإيديولوجيا والسياسية

المبحث الأول: ماهية الإيديولوجية والسياسة

مفهوم الإيديولوجية:

الإيديولوجية في معناها اللغوي عبارة عن علم الأفكار تعتقدها جماعة، فلكل جماعة إيديولوجية تنطلق منها للتعبير بآرائها واتجاهاتها وبالتالي كلمة إيديولوجية يعني علم الأفكار "ولكن لم تحتفظ بالمعنى اللغوي إذ استعارها الألمان وضمنوها معنى آخر ثم رجعت إلى الفرنسية فأصبحت دخيلة في لغتها الأصلية، ليس الغريب من هذه الحالة أن يعجز كتاب الغرب عن ترجمتها بكيفية مرضية، إن العبارات التي تقابلها:

-منظومة فكرية عقيدة ذهنية، تشير إلى معنى واحد من بين معانيها[1]، كما يمكننا كذلك اعتبار كلمة إيديولوجية دخيلة على جميع اللغات الحية، وبالتالي لا يمكن تحديد مفهوم مضبوط لهذه الكلمة، وتعني كلمة إيديولوجيا لغوياً في أصلها الفرنسي علم الأفكار فهي تتكون من شقين: idéo; logis -فيعني الشق الأول الفكرة، idéo ، أما الشق الثاني العلم logis

اصطلاحا:

"الإيديولوجية نظام فكري أو نسق من الأفكار التي يعتنقها مجموعة من البشر، وتحدد رؤية العالم أو تفسير ظواهره، وترسم من ثم أسلوب مواجهة الحياة وقد يتضمن النسق بعض التناقضات ولكنها تستخدم بطريقة تخفي تناقضها عمن يعتنقونها"[2].

فالإيديولوجية نسق مجموعة من المذاهب ومن هذه المذاهب نجد الماركسية* " إذ أنها تمتاز على غيرها من المذاهب لأنها تقدم نظرية عن الأدلوجة نسميها فيما يلي أدلوجياء، فهي تجيب على السؤال التالي:

ماهي الأسباب التي جعلت الفكر الإنساني في كل أدواره يرى الأشياء طبقاً لدعواه هو لا طبقا لذاتها هي؟ في هذا الاستعمال يقابل مفهوم الإيديولوجية بمفهوم الحق، الحق هو ما يطابق ذات الكون، والأدلوجة ما يطابق

[1]-عبد الله العروي، مفهوم الإيديولوجية، المركز الثقافي الغربي، بيروت، 1993، ط5، ص92

[2]-محمد عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة، دراسة ومعجم إنجليزي، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، 1996م، ط1، ص92.

* الماركسية ممارسة سياسية ونظرية اجتماعية مبنية على أعمال كارل ماركس الفكرية، أسس نظرية الشيوعية العلمية بالاشتراك مع فريدريش انغلس

ذات الإنسان في الكون[1].، إذاً لكل واحد منا نظريته الخاصة به نسميها نظرية ادلوجيد يتخير الأشياء ويؤول الوقائع بكيفية تظهرها دائماً مطابقة لما يعتقد أنه الحق.

قسم الكاتب عبد العروي مفهوم الإيديولوجية إلى أربعة أنماط:

-نمط سياسي.

-نمط اجتماعي.

-نمط معرفي.

-نمط مشترك بين الألفاظ الأخرى[2].

المفهوم الفلسفي الأيديولوجي.

إن الإيديولوجيا تضرب بجذورها في الواقع الاجتماعي المعيشي وتطلعات الفئات والأفراد فيه .فإن علماء الاجتماع دعوا إلى حتمية الدراسة السوسيولوجية في تحليل الفكر البشري حيث اتجه علم اجتماع المعرفة في تحديداته لضبط مفهوم الإيديولوجيات إلي حضورها الاجتماعي .فهي لا تدل فقط على المعتقدات التي توجد لدي الناس أو نسق القيم أو محصلة الأهداف والمعايير وإنما تتضمن كل هذه الجوانب مجتمعة .بالإضافة إلي نظرة الإنسان للأشياء المحيطة به والتصور الذي يشكله عن العالم .وهي في الوقت نفسه تشير إلى مجموعة الخبرات والأفكار والآراء التي يستند عليها في تقوية للظواهر المحيطة به[3].

لقد دعا كارل منهايمkarlmannheim الذي يعتبر أحد أهم مؤسسي علم الاجتماع إلى ضرورة توسيع البحث الأيديولوجي وربطه بالدراسات العلمية القائمة في مضمار تاريخ الأفكار .وتجاوز النظرة الضيقة للأيديولوجيا المنفعة أين تبدو أراء وأفكار الأخر يشوبها دائما غموض يخفي المصالح الشخصية ، ويدفع إلى الريبة والشك حينما تنظر إلي هذه الأفكار .

---

[1]-عبد الله العروي، مفهوم الايديولوجية، ص09

[2]-حميد الجمداني، النقد الروائي والايديولوجية، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1990، ط1، ص14.

[3]- المسيري عبد الوهاب محمد ,الايديولوجية الصهيونية ،دراسة حالة علم اجتماع المعرفة ،سلسلة عالم المعرفة ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب الكويت ،1983,ص135.

أو تلك التصرفات على أنها مجرد تغطية شعورية بدرجات متفاوتة لطبيعة الموقف الحقيقة فعلى هذا الأساس السيكولوجي اقتربت الايدولوجيا في مراحل تاريخية متفاوتة في قراءة الأفكار وتحليلها وهو الأمر الذي جعل احد ابرز علماء الاجتماع .كارل منهايم .يقترح المناهج العلمية لدراسة الأفكار والإفادة من إجراءاتها العلمية في البحث الإيديولوجي .

على خلاف الرؤية الماركسية قرر علماء الاجتماع أحقية كل طبقة اجتماعية في رؤيتها للحقائق الإنسانية وان لكل وضع تاريخي حقيقة خاصة وانه ليس لأمة طبقة اجتماعية واحدة تحتكر لنفسها المعني الكلي للحقيقة الإنسانية[1] .

ومن ثم فتحت هذه الحقيقة الاجتماعية مجالا واسعا لكل الطبقات الاجتماعية ،لاستعمال إيديولوجيتها في صراع التاريخ النابعة من روتينها الخاصة للعالم ،ولتبرير مصالحها وفرض وجودها .

كما فتحت هذه الحقيقة كذلك مجالا واسعا لدراسة الايدولوجيا دراسة علمية موضوعية ،ومقابلتها باليوتوبيا التي تعتبر كأفق وهاجس تطلع الطبقات الفقيرة إلى وجود تحقق فيه العادلة والديمقراطية ،وعلى تلك الصورة التي تقابل ديناميكية بناء المجتمعات تمضي كل من الإيديولوجيا واليوتوبيا في دينامية لا تقبل إلغاء طرق بل لا تكتمل صورة أحداهما إلا بتحقيق الأخرى .

2_أنماط الايديو لوجيا .

أ_الايديولوجيا بمعناها السياسي

يري عبد الله العروي أن هذا المفهوم يتصل بميدان المناظرة السياسية فهو يعبر عن الوفاء والتضحية والتسامي عند المتكلم به بينما نتخذ أيديولوجيا الخصم عن هذا المتكلم نفسه معاني نقيضة إذ تتحول الايدولوجيا في هذه الحالة إلى إقناع وراءه نوايا خفية خطيرة[2] .

الايدولوجيا السياسية إيديولوجيا يتخذها كل من المتكل به والمخاطب ،لكل الطرفين إيديولوجيا متناقضة مع الخصم وبالتالي يتخذون أقنعة ورائها نوايا خفية للوصول إلى أهدافهم ،وهذا يعني أن الإيديولوجية لها دلالتان

[1] – ابراهيم زكرياء،مشكلة الفلسفة ،ص183

[2]–حميد الحمداني ،النقد الروائي والايديولوجية ،ص14

.أحداهما ايجابية _المتكلم

والأخرى سلبية _الخاطب

من يتولد لدينا ما يسمي بالصراع الإيديولوجي السياسي .

من خلال ملاحظة عبد الله العروي في الإيديولوجية في معناها السياسي نجد انه ينظر إلى الإيديولوجية السياسية من خلال المنظومة التالية :

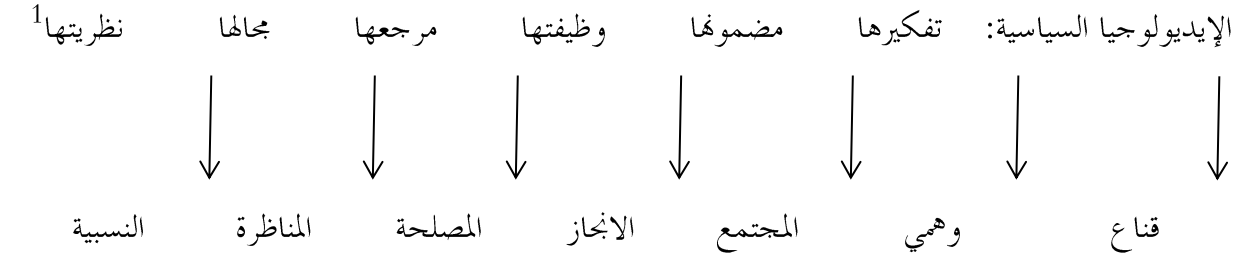

من خلال هذا نستخلص أن الإيديولوجية السياسية قناع ذا تفكير وهمي للوصول إلى المصالح المرغوب فيها، من هنا نقول أن الإيديولوجية هادفة إلى استمالة الناس والإكثار من الأنصار لتحقيق الغلبة في المجال الاجتماعي.

ب–الإيديولوجية كرؤية كونية:

"الإيديولوجية قناع لمصالح نسوية إذا نظرنا في إطار مجتمعي آني، وهي نظرة إلى العالم والكون إذا نظرنا إليها في إطار التسلسل التاريخي"[2].

يبقى التحديد في هذا الأمر إلا بالتفسير متى تكون الإيديولوجية كونية؟ وذلك غذا نظرنا إليها نظرة السلسلة التاريخية وليست آنية، والأمر الذي يهتم به في هذا القسم ما غذا كانت الإيديولوجية كونية فعلاً أو لا؟ وتكون إيديولوجيات كونية إذا ما تخلى هؤلاء المتأملين فيها عن إيديولوجيات عن تعصبها لنفسها، وحملتها لمضمون التفادي لذاتها وليس فقط لانتقاد غيرها من الإيديولوجيات وتتحقق مثل هذه الإيديولوجية إذا تجاوزت الجانب السياسي، والقصد النقدي.

[1]–المرجع السابق، ص15

[2]–حميدان الحمداني، النقد الروائي والإيديولوجية، ص18

ويقول غولدمان في مفهوم الرؤية إلى العالم في إطار البنيوية التكوينية "إن الرؤية إلى العالم هي بالتحديد مجموعة من الطموحات والإحساسات أو المشاعر التي تجمع بين أعضاء جماعة ما، وغالباً ما تكون هذه الجماعة طبقة اجتماعية، وتجعل هذه الجماعة تقف في تعارض مع الجماعات الأخرى"[1].

إن التعارض الموجود بين جماعة وأخرى في الأفكار والإحساسات تعد من مميزات الإيديولوجية فلكل جماعة إيديولوجيات ونظرتها التأملية للعالم ومن هنا يتبين لنا فيما بعد أن للإيديولوجية باعتبارها تصوراً نفعياً، وكذا الرؤية للعالم باعتبارها بحثاً معرفياً دوراً كبيراً في مجال الإبداع الروائي وهو ما سنوضحه في حينه.

ج–الإيديولوجية كمعرفة:

"إن الإيديولوجية كمعرفة يستنطقه علم الاقتصاد، وذلك في كون الاقتصاد يتراوح بين موقع العلم وموقع الإيديولوجية فلا يبلغ الاقتصاد من وجهة نظراً الماركسية ذاتها إلى مستوى العلم إلا غذا وضع في سياق التطور التاريخي[2].

إن الإيديولوجية المعرفة التي تتصل بأشياء مرتبطة بالعالم أي الرؤية للعالم لها علاقة الإقتصاد، إذ أن عالم الاقتصاد لا يبلغ مستواه العلمي إلا غذا وضع في التسلسل التاريخي بالاقتصاد يسير مع مواكبة الزمن.

الايديولوجية كمعرفة تكون ضمن حلقتها كرؤية للعالم المرتبطة بالاقتصاد.

"المفاهيم الاقتصاد نتيجة فرز تاريخي إذ أخذناها حقائق دائمة تقيس عليها الأنظمة الإنتاجية اللارأسمالية كانت أدلوجة، وإذا حللناها كنتائج تطور تاريخي قادتنا إلى إدراك واقع التاريخي إلى العلم"[3].

بالتالي إن هذه المفاهيم الاقتصادية التي تتمحور بين الإيديولوجية والمعرفة لها شقين أو دلالتين، إما في سياق التطور التاريخي وهذا إذا كانت النتائج للتطور التاريخي داخل إطار العلم وتكون أدلوجة إذ ارتبطت بنتائج الاقتصاد الرأسمالي.

---

[1]–المرجع السابق، ص19

[2]–حميد الحمداني: النقد الروائي والإيديولوجية، ص24.

[3]–المرجع السابق، ص24

د-الإيديولوجيا علم الظواهر:

من الواضح.....الأساسية المشتركة بين كل التعريفات هي أن كل التصورات المطروحة، ترى أن ثمة تلاحماً بين الواقع والإيديولوجيا " فهي لا تعكسه فحسب بل تحاول تسويقه أيضا، والواقع ليس مجرد واقع اجتماعي مادي، وإنما هو دافع اجتماعي نفسي وروحي، بل إنه ليس مجرد واقع فحسب، وإنما أيضاً تطلعات وأمال"[1].

-والإيديولوجيا علم الظاهر، وتستعمل في مجال نظرية المعرفة، وتنطلق من الأسس المنهجية العلمية لتحليل الظواهر والأفكار، وأعطى عبد الله العروي نموذجاً بالاقتصاد الذي يعد بؤرة الصراع السياسي وكيف أنه أصبح علم الاقتصاد السياسي حين ارتبط بصيرورة تطور التاريخ[2].

من خلال هذه التصورات والمفاهيم وأن الإيديولوجيا كنتاج فكري معرفي ينطلق من الفرد الذي يمثل اللبنة الأساس في تشكيل الفكر الاجتماعي وتتأسس على خلفيات إيديولوجية بلورتها صيرورة التاريخ فإننا نسعى في هذا البحث إلى الكشف عن الرؤية الإيديولوجية اتجاه النصوص الأدبية، والمتوارية خلف أسوار اللغة، التي تضفي على الإيديولوجيا من ذاتها وتصبغها بصبغتها وتحقق التواصل بين الأفراد والجماعات والطبقات، وحيث تقوي الصلة بين السياق الاجتماعي والفكر الإنساني، فإننا نحاول في الطرح التالي البحث في علاقة الإبداع الأدبي بالسياق الاجتماعي، وذلك أن النتاج الأدبي وثيق الصلة ومتلاحم بالمؤثرات التي تفرزها المرحلة، والوسط التي أنتجت فيه.

علاقة الأدب بالإيديولوجيا:

الإيديولوجيا والأدب:

إن البيئة الاجتماعية والأفكار السائدة بما تحمل من منظور إيديولوجي تؤثر في الفن بعامة وتطهر الايدولوجيا" عبد الأدب والدساتير والعادات والتقاليد والفلسفات"[3]. كأشكال متمايزة تعبر عن مضمون فكري بطرق مختلفة، وكون الأدب" مؤسسة اجتماعية"[4] فهو نتاج مجموعة تناقضات التاريخ والمرحلة التي أنتج فيها، وذلك أن الأدب

[1]-عبد الوهاب محمدالمسيري، الإيديولوجية الصهيونية، ص135.

[2]-عبد الله العروي، مفهوم الإيديولوجيا، ص13.

[3]-محمد كامل الخطيب، الرواية والواقع، دار الحداثة، بيروت، لبنان، ط1، 1981، ص107.

[4]-رينيه ويلك وأوستن ورين، نظرية الأدب، ترجمة محي الدين صبحي، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب دمشق، دت، دط، ص119.

والتاريخ والزمن والعلاقة الاجتماعية، يشكلون وحدة متناقضة وديناميكية معقدة"[1] تتمحور حولها العلاقة الموضوعية للأدب بالإيديولوجيا باعتبار هذه الأخيرة متكأً أساسياً للنتاج الأدبي الذي ينتج بدوره إيديولوجيا نصوصه أو الإيديولوجيا الأدبية التي تخضع لانزياحات جمالية وأسلوبية توارى خلف أسوارها وتتمتع بها.

ولكن الأدب ليس عارضاً ألياً للوقائع والأحداث ولا يلتقطها بإحساس خارجي جاف ولكنها اصطبغت بصبغة وامتزجت بذاته، والنص يعد عصارة تفاعل عوامل عديدة تشكل موقفه الخاص من العالم، ووسيلة فنية لإدراك الحياة، فهو نتيجة تعاقد آني بين الكاتب والوسيلة وبعدئذٍ يمكن استنساخه لمصلحة العالم، ووفقاً للشروط المفروضة من العالم وفيه"[2].

يتم في عملية التفاعل فعل التحوير والتغيير للغة العربية إلى وضع جديد تنتظم فيه داخل نص أدبي بشكل جديد يحمل دلالات جديدة، وينتج عن عملية التفاعل رؤى جديدة أيضاً للفنان والعالم، فهي إعادة إنتاج للمعنى واللغة لتعطي إيديولوجيا أدبية جديدة يصبح النص أحد خطاباتها، وقد وضع (عمار بلحسن) ثلاث أطروحات تحدد رؤية العلاقة بين الأدب والإيديولوجيا هي:

1-النص الأدبي هو كتابة تنظم الإيديولوجيا وتعطيها بنية وشكلاً ينتج دلالات جديدة بحيث كل نص يحمل تجربته ودلالاته المتميزة.

2-يقوم النص بتحويل وتصويرها، الأمر الذي يسمح باكتشافها وإعادة تكوينها كإيديولوجيها عامة موجودة في عصر أو مجتمع معين.

3-يتضمن العمل الأدبي عناصر معرفة الواقع، فهو تمثل فني جمالي لظواهره وأشخاصه وعلاقاته وأحاسيسه[3].

وبهذا الشكل تصبح الخطابات الأدبية منتجة للإيديولوجيات ونحاول التركيز على الزاوية بصفتها "جنساً أدبياً تندرج ضمن حقل الأدب الذي هو أحد مظاهر الإيديولوجيا وأحد حقولها"[4]. ودراسة الايديولوجيا التي تنتجها وطبيعة العلاقة بينهما.

---

[1]-بلحسن عمار، الأدب والإيديولوجيا، ص24.

[2]-ادوارد سعيد، العالم والنص والناقد، ترجمة عبد الكريم محفوظ، اتحاد.العرب، دمشق ، سوريا، 2000، ص103.

[3]-عمار بلحسن، الادب والإيديولوجيا، ص98.

[4]-محمد كامل الخطيب، الرواية والواقع، ص107.

علاقة الإيديولوجيا بالرواية:

عرفت علاقة الرواية بالإيديولوجيا جدلاً نقدياً كبيراً امتدت جذوره الأولى إلى نشأة النص الروائي وعلاقته بالواقع الاجتماعي، وبصيرورة التاريخ كخطاب أدبي جمالي حامل لصور ومفاهيم وتطلعات الفرد والمجتمع ورؤية الأديب —من خلاله- للعالم وموقفه من التاريخ، الأمر الذي جعل التنظير للرواية يأخذ طابعاً فلسفياً شاملاً، يجمع مفاهيم متعددة تستوعب نشوء الرواية كنمط إيديولوجي ضمن حقل معرفي (ابستيمولوجي) يشكل نسقاً شاملاً، وتستوعب أيضاً سوسيولوجيا النص باعتباره بنية ثابتة تتجاوز فيها الايديولوجيا "المصورة عبر الشكل اللغوي، لتأخذ طابعاً هدامياً يؤول إلى بناء بنية دالة تمثل عمق النص".

يرى التحليل السوسيولوجي أن الرواية ارتبطت في نشأتها بظهور المجتمع البرجوازي وانتصار نمط الإنتاج الرأسمالي، حيث عرف الفرد صراعاً جديداً ضد قوى مجردة كالعلاقات الاجتماعية الرأسمالية والقيم الاستهلاكية، أدى إلى افتقاد الوحدة العضوية بين البشر وتحويلهم إلى فئات يقوم كل منها بعمل محدد، وأصبح الواقع المعيشي غثاً ومتدهوراً يصعب معه تطور الطابع الروحي الإنساني وأدى التقسيم الرأسمالي للعمل إلى انقسام "الشخصية الإنسانية إلى عالم داخلي وعالم خارجي، فهو يدمر تلك الوحدة البدائية لرابطة العشرية باعتبارها مضموناً وشكلاً لوحدة الفرد والمجتمع"[1]، وتحولت روح الإنسان من التعبير الشعري الملحمي إلى نثر يصور الشخصيات الإنسانية في صراعها وكفاحها، فكانت الرواية ملحمة البرجوازية الحديثة وعرفها الناقد (جورج لوكاتش) بأنها " النوع الأدبي الذي يستطيع أكثر من غيره الارتباط بالحياة البرجوازية"[2].

والرواية-بموجب ظروف نشأتها- تمكنت من رصد التناقضات الاجتماعية والكشف عن خبايا الأزمات الكبرى التي عرفتها أوروبا اثر حركات تطور المجتمعات الصناعية، وقد كشف النقاد، وخاصة الماركسيون، عن جدلية العلاقة بين الرواية والواقع في عكس الإيديولوجية السائدة، ودعا (كوثائق) إلى ضرورة التفريق بين " أيديولوجية الكاتب بوصفه إنساناً، وأيديولوجية كتاباته التي لا تخضع إلا لمنطق الكتابة ونسيج الدلالات"[3].

---

[1]-عمار بلحسن، الأدب والإيديولوجيا، ص100.

[2]-سيد البحراوي، علم اجتماع الأدب، دار...للطباعة، القاهرة، ط1، 1992، ص14.

[3]-الطيب بودربالة والسعيد جاب الله، الواقعية في الأدب، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، عدد07، 2005، ص55.

* أنوري بلزاك: (Belzec Honoré dé) (1850-1977) أديب رومانسي فرنسي، مؤلف (الكوميديا بالبشرية) ابتدأ كتابتها سنة 1829، واستغرقت كتابتها ثلاث عشرة عاماً.

**ليون تولستوي ((Tolstoi) (1828-1910) أديب روسي، أشهر اعماله " الحرب والسلام"بين 1865 و1869، و أنا كارنين 1980.

كما قادت الدراسات التطبيقية لمؤلفات روائيين عالميين، (بلزاك، تولستوي) و(ديستويفسكي) إلى تبلور اتجاهات نقدية حول نظرية الرواية، وأدى اهتمام علم الاجتماع بها كفن إلى ظهور علم اجتماع الأدب الذي درس، الأدب كظاهرة اجتماعية"[1]، واتجه عبر مروره بمراحل متعددة إلى بلوة نظرية الرواية كفن مستقل له قوانينه ومميزاته.

وقد ميز الناقد المغربي (حميد لحميداني****) ثلاثة أشكال في صيرورة ارتباط هذا المنهج بنقد الرواية.

أ–النقد الجدلي في صورته الأولى: وارتبط بالمادية التاريخية، حيث الرواية شكل من أشكال البنية الفكرية للمجتمع، وتدخل الرواية لتصوير الصراع حول المصالح المادية بين طبقات المجتمع.

ب–البنيوية التكوينية: وتحاول انجاز علاقة بين إيديولوجية الكاتب والمجتمع والنص الأدبي والروائي، حيث الكاتب نتاج ظروف سوسيوتاريخية، من أعلامها (لوكاتش) و(غولدمان) الذين بلورا–تباعا –فكرة (رؤية العالم)

ج–سوسيولوجيا النص الروائي: يعتبر (ميخائيل باختين) أقرب سيوسيولوجيا النص الروائي وقد بنى أرائه حول الرواية بالتحليل العميق لعلاقة بالواقع الاجتماعي الاقتصادي[2].

علاقة الأدب بالسياسة:

***فيو دور ديستويفسكي : ((fiodoredostoterski) (1821-1881) أديب روسي أشهر أعماله (الإخوة مازونà بين 1879 و1880.

[1]–سيد البحراوي، علم اجتماع الأدب، ص01.

**** حميد لحميداني (1950–) روائي وناقد مغربي، من مؤلفاته رواية (دهاليز الحبس القديم 1970، (أسلوبية الرواية) 1989، (النقد المعاصر)1991، ترجم كتاب (التخييلي والخيالي من منظور الانثربولوجيا الأدبية) د. فولفانغايزر، 1998

*ميخائيل باختين: (1895–1975) ناقد ادبي روسي، ومن أهم أعماله (شعرية ديستويفسكي) 1927.

[2]–حميدلحميداني، النقد الروائي والايديولوجيا، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 1990، ص55-73.

تعريف السياسة: ورد في معجم الرائد تعريف السياسة ، وهي " من ساس يسوس

ـــــــــ تولي أمر الناس وإرشادهم إلى الطريق الصالح ـــــــــ السياسة المدنية.

ـــــــــ تدبير المعاش مع العموم على طريق العدل.

سياسي: الذي يعنى بشؤون السياسة ـــــــ الحقوق السياسية: حقوق كل مواطن في أن يشترك في إدارة بلاده أو ممارسة أعماله الوطنية كالانتخاب ونحوه"[1].

وورد في قاموس المحيط أن السياسة استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجي في العاجل والآجل. وهي من الأنبياء في الخاصة والعامة، وفي ظاهرهم لا غير. ومن العلماء ورثة الأنبياء على الخاصة في باطنهم لا غير، والسياسة المدنية تدبير المعاش على العموم على سنن العدل والاستقامة، وهي من أقسام الحكمة العملية.

تسمى بالحكمة السياسية وعلم السياسة وسياسة الملك والحكمة المدنية. وكتاب السياسة الذي كتبه أرسطو طاليس للإسكندر يشتمل على مهام هذا العلم"[2].

إن السياسة من أكثر المصطلحات التي أحدثت جدلا كبيرا على الساحة الفكرية العربية والغربية على حد سواء من حيث مفهومها لكونها ارتبطت بالعلوم السياسية.

وورد تعريف السياسة في معجم ابن المنظور (لسان العرب) إذ تعرف بمشتقها اللغوي: " السوس: الرياسة، يقال ساس وهم سوسا، وإذا رأسه، وساس الأمر سياسة"[3].

أما في اللغات الأجنبية فيرد مصطلح السياسة أيضا ومنها الإنجليزية (Politics) وفي الفرنسية (Politique)

Polis /01 وتعني المدينة، وقد كانت هي الوحدة السياسية في اليونانية آنذاك، وأطلق عليه اسم دولة المدينة (City-state)

[1] - جبران مسعود: الرائد ـــ معجم لغوي عصري ـــ دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط8، 2001، ص ص 716 ـــ 717.

[2] - بطرس البستاني: محيط المحيط قاموس مطول للغة العربية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، 1987، ص 440.

[3] - ابن المنظور: لسان العرب، ص 108.

02/ Politicaتعني الأشياء السياسية والمدنية، النظرية، والكل إذا ذكر تبادر إلى الذهن معنى السياسة، كالدستور والحكومة والسيادة، وغيرها من الكلمات.

03/ Politike وتعني السياسة كفن أو كممارسة، يقوم بها السياسيون"[1].

" تركز المدرسة التقليدية في علم السياسة بأنه علم الدولة، ومن ثمة يركز هذا التعريف على كل ما يهم الدولة، من حيث ظروف نشأتها وتطورها ومؤسساتها وعلاقاتها الخارجية، ويظهر هذا التعريف في المجتمعات البشرية المنظمة في شكل وحدات سياسية، أي دول وحكومات ولها دور فعال في صياغة التشريعات، وتطبيق القوانين، وإقامة علاقات خارجية مع بعضها البعض"[2]، " في تعريف المدرسة الحديثة لعلم السياسة ترى أن علم السياسة هو علم القوة، وهذا تعريف واسع يرتكز على ظاهرة القوة، بمعنى القدرة والمقدرة، وهي ظاهرة اجتماعية في حياة الأفراد في الدولة والمجتمع معا"[3].

وتشير السياسة في دلالاتها الإصطلاحية النظرية والعلمية على حد سواء إلى " كل نشاط نظري أو عملي يتعلق بحكم الجماعة الإنسانية وإدارة شؤونها، واتخاذ القرارات العامة اللازمة لحماية وجودها وتلبية احتياجاتها، وإدامة قيمتها وضمان مصالحها، وتحقيق أهدافها واستثمار قدراتها، وتنظيم علاقاتها في تفاعلاتها، وتوجيهها في الداخل والخارج"[4].

01/ مفهوم الأدب السياسي: في الواقع أضحى الحديث عن السياسة يتخطى مجالاتها الضيقة، لتشمل كل الميادين، فهي وجبة دسمة للمحللين والمفكرين والأدباء، ولعل هذا ما أسهم في ميلاد الأدب السياسي، وإن كان هذا التصنيف ملتبس نوعا ما، خصوصا مع التعريفات المختلفة له.

إن " الأدب السياسي هو ذلك الأدب القادر على إحداث التغيير، فهو يحكي واقع الناس والمجتمع، ويستنكر الإقصاء والظلم والتهميش"[5]. إذ الأصل أن الأدب السياسي هو أدب اجتماعي هادف يجاري تحديات ومشكلات وهموم المجتمع، فينتفض الأديب بفكره لأجل تغيير واقع سلبي، وذلك كرد فعل على الممارسات والخطابات

[1] - حسن سيد سليمان: المدخل للعلوم السياسية، دار جامعة إفريقيا للطباعة، الخرطوم، السودان، 2010، ص 05.

[2] - المرجع السابق نفسه، ص 14.

[3] - المرجع نفسه، ص 14.

[4]- عبد الرضا حسين طغان وآخرون: موسوعة الفكر السياسي عبر العصور، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، د ت، ص 22.

[5] - مجلة دراسات للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 46، العدد 2، 2019، ص 369.

التعسفية التي انجر عنها الظلم والاستبداد وتغييب القيم الإنسانية والمثل العليا للمجتمع. بمعنى أن رسالة الأدب السياسي المستجدة تتمثل جعله لسان حال المهمشين المتمردين، الذين يرفضون الألوان المختلفة من الإقصاء والبؤس والحرمان، وعليه يصبح الأدب السياسي أداة تخيلية لبناء واقع عادل، تمرر عدة رسائل توعوية هدفها إيقاظ الوعي الشعبوي. ولذلك نجده " يطوّع اللغة في خدمة القضية فيحرك مشاعر الجماهير، فينقلها إلى حيز الوجود عبر ردود أفعالها على الوضاع السياسية والإقتصادية التي يعيشونها، وهذا ما جعل علاقة الديب السياسي بالسلطة علاقة متوترة ومشحونة"[1].فالأدب السياسي على غرار الألوان الأدبية الأخرى يستخدم لغة لا يراد لها زعزعة مشاعر القراء فيؤثر فيهم فحسب، بل يلفت انتباههم ويشد عقولهم إلى المسكوت عنه، إلى تأثيرات السياسة السلبية على الفرد والمجتمع. وبهذا الاستعمال الوظيفي النوعي للغة البنائية الهادفة، فهم ينقلون صورة المجتمع الحقيقية إلى حيّز الوجود الفعلي، من خلال التأثير على القراء بلغته وأسلوب كتاباته، لتحقيق ردود أفعالهم على تلك الأوضاع، التي يحاكيها في مختلف الوضاع الاجتماعية والاقتصادية... التي يعيشونها من هذا المنطلق تكون علاقة الديب السياسي بالسلطة والنظام علاقة مشحونة بالتوتر والصراعات.

كذا الخطاب الأدبي مقرون دائما بالأوضاع السياسية للمجتمعات يجاريها في تقلباتها وصراعاتها، فيكشف عن متونها وجدلياتها في تأريخ اتحكائية سردية غاية في الاتساق والرمزية المتفردة، التي لا نعهدها في خطاب اللغات المنطقية والعلمية. ولنا نماذج واقعية راسة في تاريخ بعض المجتمعات المعاصرة إذ يتجلى من خلالها تماهي العمل الأدبي مع النشاط السياسي. " وفي كتابه 'الفن والمجتمع عبر التاريخ' يصف أرنولد هاوزر ويحلل الوضع السياسي والأدبي في روسيا خلال حكم القيصرية الأوتوقراطي الظالم والمستبد، قائلا بأن كتب حرية نقد السلطة أدى إلى اتجاه طاقات النقد السياسي والاجتماعي إلى الأدب، وهذا ما جعل من الأدب الروسي المتنفس الوحيد للنقد الاجتماعي السياسي، ودفع الأدب الروائي إلى مكانة الصدارة في خلق مستقبل أفضل"[2].وفي مستوى آخر يعتبر الأدب السياسي " التاريخ الحقيقي للأمم والشعوب المستمد من تجارب حيّة، والذي خطت سطوره بالآلام أبناء الوطن من أصحاب الأقلام والمواقف، لا بأيدي المؤرخين الذين يستمدون مادتهم من الوثائق الرسمية التي لا تخلو من التحريف والتضليل"[3]، فالأديب السياسي هو الذي يؤرخ بشكل ما للحقائق المستمدة من واقع حاجات الشعوب ومتطلبات راهنهم، كذا الأدب السياسي هو الذي كتب أفكاره أبناء البلد، وهم أولئك الأدباء الذين

[1] - المرجع نفسه، ص 369.

[2] - أحمد محمد عطية: الرواية السياسية ـــ دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية ـــ، 10.

[3] -) ـــمجلة دراسات للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 46، العدد 2، 2019 ، ص 369.

لا يشبهون المؤرخون، الذين يعتمدون على الوثائق الرسمية، التي تكون في معظم الحيان معرضة لأشكال من التضليل والكذب.

الأدب السياسي ليس إبداعا فنّيا جماليا وحسب، وإنما هو " وسيلة للتعبير السياسي وصرخة اعتراض، وطريقة لوصف الصراع الذي يعيشه المجتمع مع السلطة السياسية المستبدة، ونظرة كل منهما للآخر، وهو إلى جانب ذلك محاولة للتاريخ للأحداث والوقائع السياسية، وتجربة للتغيير نحو الأفضل. وباختصار الأدب السياسي ثورة كامنة يسوسها القلم"[1] وعليه فالأدب السياسي يماثل غيره من الوسائل في نقل بعض الحقائق والأخبار، فهو وساطة لنقل الأخبار السياسية للجماهير، أو لنقل اعتراض ذاتي أو جماعي مباشر للسلطة، أو صرخة تصف بها الصراع والجدال، وعدم المبالاة التي يتلقاها المجتمع من طرف السلطة، التي تقهر شعبها، ووصف العلاقة التي بين السلطة والشعب، أو المجتمع، ومن جهة أخرى فهو محاولة لتسجيل الأحداث والوقائع السياسية التي تحدث، وهي تجربة لتغيير للأفضل، وبذلك فإن الأدب السياسي ثورة يقودها القلم ويسوس لها.

علاقة الرواية بالسياسة: سعى النقاد للكشف عن العلاقة بين الرواية والسياسة وقد تبيّن لهم أنها طبيعية ومنطقية، باعتبار كليهما يهتمان بحياة الإنسان. ويعبر الروائي عن الحياة الإنسانية من نواحي عديدة، وقد يركز على تجسيد رؤية سياسية فيكتب رواية سياسية. ويسعنا تمثل دور الرواية السياسية في الدفاع عن حقوق الإنسان وحرية الشعوب، ما من شأنه أن يؤدي إلى التغيير. سنعرض في أوراقنا البحثية للعلاقة بين المجالين (الرواية والسياسة) ومن خلالها نكشف عن تماهي الرواية بالسياسة فيما نصطلح عليه بالرواية السياسية، بغية الوصول إلى نظرة شاملة عن هذا المولود الأدبي، وإبراز دوره الحضاري في تنمية العقول والتعبير عن قضايا الأمة." ولقد ارتبطت الرواية بالسياسة ولعبت دورا عاما في التغيير الاجتماعي والسياسي، بنقدها للواقع الاجتماعي والسياسي، وكشفها لبذور التحول السياسي، وتقديمها للشخصيات الإيجابية المبشرة بالثورة. ولقد وعى الروائيون الأوربيون مدى ذلك الارتباط بين الرواية والسياسة، فأطلق الروائي السويسري 'جوتفريد كيلر' مقولته الشهيرة بأن 'كل شيء سياسة' وعلّق جورج لوكش عليها قائلا: 'الكاتب السويسري الكبير لم يقصد أن كل شيء تكبله السياسة مباشرة، بل هو يرى على العكس من ذلك ...أن كل فعل وكل فكر، وكل عاطفة من عواطف الانسان ترتبط ارتباطا لا ينفصم بالحياة وبصراعات المجتمع".[2]

[1] - المرجع نفسه، ص 369.

[2] - أحمد محمد عطية: الرواية السياسية ـــ دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية ـــ، 10.

وقد أطلق جاك JaquesRonciereمفهوم "سياسية للأدب" على ممارسة الأدب للسياسة حيث قال: " لست سياسة الأدب سياسة الكتّاب، فهي لا تتعلّق بالتزاماتهم الشخصية في صراعات عصرهم السياسية أو الاجتماعية، كما أنها لا تتعلق بالطريقة التي يصوّرون بها البنى الاجتماعية والحركات السياسية، أو الهويات المتنوعة في كتبهم. إن تعبير "سياسة الأدب". يعني أن الأدب يمارس سياسة بوصفها أدبا. " وهو يفترض عدم وجود أي داع للتساؤل عما إذا كان على الأدباء ممارسة السياسة، أو بالأحرى تكريس أنفسهم لصفاء فنّهم، وان لهذا الصفاء نفسه علاقة بالسياسة"[1] إن ممارسة الأدب للسياسة لا تعني إلقاء التّهم عليه، أو النّظر إليه نظرة انتقاص، أو أنه أضحى بممارسته هذه مجرّد وعاء لاحتواء القضايا السياسية، ولا يجدر اتهامه أيضا بعدم النّقاء، فصفاء الأدب يتحقق بممارسة السياسة، التي هي من واقع الإنسان. إن السياسة من واقع الأدب عموما. فالرواية ـــــــــ فيما قصد إليه طه وادي ـــــــــــ هي مادة الأدب الرئيسية إذ تسهم في حبك الأحداث والوقائع. وبصورة منطقية نستنتج " أن إنسان اليوم مبدعا أو متذوقا يمكن أن يعرف بأنه كائن سياسي، له أيديولوجيته الخاصة ـــــــ أو على الأقل موقفه الواعي أو اللاواعي الذي يعبّر عن انتمائه الفكري، وبالتالي عن رؤيته السياسية"[2].

ولا ريب إذ ذاك أن نتمثل الصلة الطبيعية بين الرواية والسياسة، باعتبار إنسان اليوم ذا موقف إذ ينعكس على مختلف نشاطاته ومنها الإبداعية التأليفية، كذا يتحقق التماهي بين الرواية والسياسة من خلال رسالة العمل الأدبي في حد ذاته، فالأديب ابن بيئته، ولا ريب يعايش لينقل رسالة للقارئ يعالج من خلالها قضايا مجتمعية متعددة، فيعبر عن اهتماماته محاجاته الأساسية. ثم إن قارئ اليوم يتمتع كذلك بموقف فكري يجعله يبحث في مختلف صور الإبداع، ومنها الرواية عن قضية سياسية يتحاور معها فكريا، وهو ما يملأ طموحه القرائي وسؤاله الفكري. وقد كان ولا يزال مسعى الروائي هو استبعاد وإقصاء كل نظرة سلبية أو عدائية لمنطق الصلة بين السياسة والرواية، لأن تكريسها يعني إلغاء الوظيفة الاجتماعية للأدب وتبعده عن دوره النضالي، كذا تنتقص بلا وعي من قيمته الموصولة بتمظهرات واقع الأمة، المتزامنة مع متغيرات العصر. وتلك نظرة خاطئة. " أما الدعوة إلى قطع كامل بين الكتابة والسياسة فإنها لا تترجم موضوعية العلاقة بقدر ما تستبد لها بوهم ذاتي، وبمعرفة زائفة، لأن أثر الكتابة في المجتمع، وتلاقيه مع موقف سياسي محدد أو ملتبس، لا تقرره إرادة الكاتب، ولا تصوره الذاتي لمعنى

[1] - جاك رانيير : سياسة الأدب، تر، رضوان ضاضا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص 15.

[2] - عبد الكريم ناصف: الأدب والسياسة، مجلة الموقف الأدبي، العدد 388، السنة الثالثة والثلاثون، اتحاد الكتاب العرب، دمش، سوريا، أ ب 2003، ص 47.

الكتابة، إنما يقرره القول الذي تحمله الكتابة، من حيث هو قول يبدأ من المجتمع ويعود إليه"[1].هذا ويختص الروائي دون السياسي بوضع برامج في صورة قضايا فكرية مضبوطة ومحدودة، فلا يخفى على الروائي صهر هذه الأفكار في نسيج روايته، ودمجها مع يوميات الشخصيات ومشاعرها. " ولا شك أن الأدب الجيد ـــــــــــ بصفة عامة ـــــــــــ هو الذي تدوب فيه الرؤية السياسية داخل جزئيات العمل، وتتظافر مع لحمته وسداه، وتصبح جزءا عضويا من نسيجه، وأداة متجانسة من أدواته"[2].

في مستطاع الروائي تمرير أفكار في روايته لا يستطيع سياسي أو إنسان آخر الإدلاء بها، لما يحمله الأمر من عواقب وخيمة تمنع الحديث في المجال، وبالتالي تتجاوز الرواية المحظور عبر وسائلها الخاصة، وتتحدث عن المسكوت عنه من أجل غايات سامية، قد تكون تنبيه المجتمعات أولها. في واقع الأمر قد يكون الروائي سياسيا، وقد يكون السياسي روائيا، وفي الحالتين يجتمع الطرفان في شخص واحد، فيحدث توافق تام، وتأتي صورة الأدب متصالحة مع السياسة ومنعزلة عنها، إلا أن روح الوطنية تجر قلمه من غير وعي منه إلى التعبير عن هموم المجتمع، " ذلك أن الأدب لكونه معنيا بالصالح العام، حاملا لهموم المجتمع، ناثرا لبذور الثقافة والفكر، فإنه غالبا ما يكون ذا موقف سياسي، يريد هذه السياسة ويرفض تلك"[3] لقد غدت السياسة الممارسة الدينامية للفعل الاجتماعي والثقافي، فتحدد أصول الحكم، وتنظم شؤون الدولة على أساس من الوعي بهذا الدور المنوط بها، ولا شك يعد مؤثرا. ولا شك أن الرواية العربية قد حفلت بوافر الطروحات والأفكار إذ اشتغلت بالسياسة وتطلعات المجتمعات سياسيا، ومدى تأثيرها على حياة وواقع الإنسان. وإنما استحدثت الرواية السياسية لهذا الشأن حيث تتعرض لقضايا السياسة بشكل صريح أو بصورة رمزية، وكاتب الرواية السياسية ليس بالضرورة ذو انتماء سياسي، ولكنه صاحب أيديولوجيا، يريد أن يقنع قارئه بشكل صريح أو ضمني.

تعد الرواية السياسية من أكثر الفنون التصاقا بالمجتمع، بحيث ظهرت في الغرب نتيجة الصراعات الأيديولوجية والهواء السياسية المتطاحنة، بحيث كان الصراع عنيفا بين الرأسمالية والاشتراكية " إذ أننا لا نستطيع أن نفصل الممارسة السياسية عن الحياة العامة في أي وطن وفي أي زمان كان، أما ظهور الرواية السياسية العربية " فقد ظهرت بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، مع انطلاق حركة القرار الوطني وانحسار المد الاستعماري"[4] ومن

[1] - فيصل دراج: الواقع والمثال، مساهمة في علاقات الأدب والسياسة، دار الفكر الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 1989، ص 293.

[2] - طه وادي: الرواية السياسية، ص 51.

[3] - عبد الكريم ناصف: الأدب والسياسة، مجلة 'الموقف الأدبي' حوليات جامعة قالمة للعلوم الانسانية والاجتماعية، العدد 26، جوان 2019،

[4] - علاء الدين سعد جاويش: الاتجاه السياسي في الرواية العربية، ص 27.

الروايات العربية التي صنفت ضمن الروايات السياسية 'كفاح طيبة' لنجيب محفوظ، و 'يوم قتل الزعيم' و 'هموم الزمن الفلاقي' لمحمد الفلاحي، و'رجال تحت الشمس' لغسان كلفاني، و'ريح الجنوب' لعبد الحميد بن هدوقة، وغيرها من الروايات التي حملت بين ثناياها قضايا سياسية. وقد اختلفت أسبابها وطرق معالجتها، بحيث رصدت الرواية السياسية العديد من القضايا والظواهر المجتمعية والسياسية كواقع الاستمرار والاستقلال، والفترة السياسية ما بعد الاستقلال والصراع الأيديولوجي والحربي، والحروب السياسية والنكبات، والهزائم والصراعات القومية...إلخ. "كما أنها ناقشت قضايا العدالة الاجتماعية وعلاقة الرعية والملك، وعلى الرواية السياسية أن تكون مؤثرة ومعبّرة تتجاوز الأفق المحلي، حاملة هموم المجتمع السياسية بكل قضاياها المختلفة"[1] وغني عن البيان تأكيد أحقية الأدب السياسي في فرض منطق التحدي لمواجهة كل أساليب القهر والعنف والطبيقية وغيرها من الظواهر التي علا خلالها صوت الخطاب الأدبي، نازعا إلى مواجهة انتكاسات الحياة الهمجية والتعصبات، التي أساءت للإنسان وحقوقه وكرامته. " فأدانت الرواية العربية أساليب القهر السياسي من خلال تصويرها وإبرازها لواقع القمع والاضطهاد والتعذيب السياسي، الذي يسيطر على الحياة السياسية العربية، ويحد من حرية الإنسان العربي، ويعتدي على حقوقه الإنسانية العامة والخاصة... وتنطلق من هذا الرفض الفني المصور لأزمة الحرية إلى المناداة بالحرية والتطلع إلى تجاوز هذا الواقع المدان إلى مستقبل أفضل"

أنواع الرواية السياسية:

01/ **الرواية الانتفاضية:** إن الروائي في هذه الحالة يكون على اتصال تام بالحدث، بمعايشته له، أو قد يكون كذلك بحيث يكون الروائي " مطالب أن لا يقتصر عمله على دور مرآوي انعكاسي يكتفي بتسجيل الحدث، دون أن يرقى به إلى مستويات فنية تحاول أن تقتنص ما هو جوهري دال، علّها تصل به إلى تمثيل فني روائي راق، لهذا الفعل النضالي، عندئذ تكتسب الكتابة الفنية الروائية تسميتها الإبداعية التي يضيف إليها فعل الانتفاضة تميزا وحضورا فاعلا، قد يكون موازيا للحدث نفسه"[2] عمل الروائي يختلف عن عمل المؤرخ الذي ينقل الأحداث نقلا تاما دون زيادة او نقصان، "أما اروائي فهو يسجل الحدث بتمثيل فني راق، وهذا العمل يختلف من روائي لآخر، متفاعلة مع الثوابت دون إغفال للمتغيرات وتهتم بالجوهري دون إهمال المؤقت والطارئ، بحيث أن صياغة

[1] - المرجع نفسه، ص 49.

[2] - ساندي سالم أبو سيف : الرواية العربية وإشكالية التصنيف، ص 161.

وجود العمل الأدبي يكمن في التعبير عن الخلل الذي يعتري علاقة الأديب بالعالم، ومن مفهوم عميق يتمثل في أن الأدب رفض دائم وتجاوز مستمر لمنظومة القيم السائدة، والنقد الذاتي وسيلة مثلى لتحويل الحلم إلى واقع"[1].

فالأديب يرتبط ارتباطا واضحا ببيئته فيتناول قضاياها ويحلل مشاكلها منطلقا منها رافضاأو متجاوزا للقيم السائدة فيها، ومن الروايات التي عالجت موضوع الانتفاضة 'رواية أحمد محمود والحروب' لزكي درويش، تصور الصراع من خلال أسرة صغيرة "الحواف" لعزت الغزاوي تصور الانتفاضة من زاوية أخرى في المخيمات والمدن والشوارع، من خلال لقطات عديدة عبر المشاهد المتنوعة و'وجوه في الماء الساخن' لعبد الله تايه، التي تصور تصويرا فنيا دقيقاتجربة العمال الذين يتوجهون إلى داخل فلسطين المحتلة عام 1948 م"[2].

02/ **الروايات القومية:** هي صفة مشتركة بين الوطن العربي، وهناك العديد من الروائيين الذين تطرقوا إلى القضايا التي تؤرق العالم العربي مثل حركات المقاومة ضد الاستعمار بحيث ارتبطت هذه الروايات بموضوع المقاومة، وهذا أطلق عليه رواية المقاومة، " بحيث قامت الرواية العربية بمهمة إيقاظ الضمير العربي لمواجهة التحديات والأزمات التي عانتها المة العربية في طريق تحررها وتقدمها، فغيرت عن أفكار المة رصدت حركة الجماهير ونضالها، عن طريق رسم شخصيتها وعلاقتها ونوازعها وتصويرها المختلف لجوانب الحياة السياسية والاجتماعية، وقدمت رؤيتها وتنبؤاتها بما شبه من قيم ومفاهيم إيجابية، مضمنة في صوررها ووقائعها أحداثها، وما اوحت به من تطلعات وأشواق وطموحات وطنية وقومية"[3].

و لم تقتصر روايات المقاومة على الحاضر فقط ولكنها استحضرت أيضا الماضي وتغنت بأمجاده، بحيث أن رواية المقاومة انطلقت من منطلق سياسي تحرري قومي.

03/ **رواية النضال الوطني:** وهي الروايات التي حملت في طياتها روح المقاومة والتحدي للاستعمار وصورة كل أشكال الهيمنة والاستعباد والقهر، ومن الروايات التي مثلت هذا النوع 'نار ونور' لعبد المالك مرتاض، و 'طيور في الظهيرة' لمرزاق بقطاش...إلخ.

[1] - المرجع نفسه، ص 162.

[2] - المرجع نفسه، ص 162.

[3] - المرجع السابق نفسه، ص 162.

04/ **الرواية الثورية:** هي الروايات التي عالجت موضوع الثورة محاولة رسم طريق الخلاص، متجاوزة للواقع، مصورة حلقات من الصراع والكفاح الطويل، الذي رافق الدول العربية، ومن بين الروايات الثورية الروايات التأسيسية في الجزائر كرواية 'اللاز' لطاهروطار.

كذا تقترن روايات السجن السياسي بالروايات الثورية، وهي الروايات التي صورت معاناة السجناء والمناضلين السياسيين وزعماء الأحزاب، " ولا ننسى أيضا هذه الروايات على تصوير الزنزانة مراحل السجن والاعتقال السياسي، وكيفية الاستقبال للزنزانة والتعذيب، وقد طرحت الروايات سجن الاستعمار عدد من صور السجن السياسي أبرزها السجان ـــــ الجلاد ـــــ الصامد الخائن، والفرار ، ويمكن تقسيم روايات السجن السياسي إلى سجن الاستعمار السياسي، وسجن الاستقلال السياسي"[1].وكل هذه الأنواع تندرج تحت عنوان الرواية السياسية هي تلك الرواية التي تستخدم تقنيات وأدوات يتعداها بعض الشيء عن السياسة المباشرة، والتي لا تكون الحرب موضوعها، وكذا لا يكون السجن والنضال الوطني، بحيث تربط بين المضمون الروائي والبناء الفني

مرتكزات الرواية السياسية: تتجه الرواية السياسية دائما إلى دراسة ومعالجة القضايا التي يعاني منها الفرد بصفة خاصة، والمجتمع بصفة عامة، من ظلم واستبداد وقهر وتهميش، وهذا ما عبّر عنه العديد من الكتاب المعاصرين في طروحاتهم، حيث أصبح الكاتب هو المؤرخ الحقيقي للكثير من أحداث الأمة وقضاياها، من خلال شخصيات مأزومة فكريا، ومهمشة اجتماعيا، ومغتربة إنسانيا، وهذه الشخصيات التي تعاني وتناضل من أجل نفي عذابات الذات وتحقيق أهداف المجتمع صارت تشغل اليوم مكانة رفيعة في شرفات فنون القص"[2].

أصبح الكاتب يحتل مكانة مميزة ومرموقةعلى الساحة الأدبية الفنية، لتبنيه القضايا السياسية والتعبير عنها. أصبح يعد مرآة عاكسة للمجتمع، وبهذا تبين أن الرواية هي أهم أداة فنية معبرة عن واقع المآسي الاجتماعية بشتى أشكالها، من ظلم واستبداد ومصادرة حقوق الانسان، ولذلك اتخذت الرواية مسارا وطنيا. ومن بين الروائيين الوطنيين الذين تبنوا هذا المسار نجد: واسيني لعرج، طاهر وطار، مبارك الربيعي، جمال الغطاني... وغيرهم.

[1] - جميل الحمداوي: الرواية السياسية والتخيل السياسي، مجلة الكلمة، العدد 04، 2007، ص 07.

[2] - طه وادي: الرواية السياسية، ص 12.

ولذلك كانت الرواية السياسية همها الأول والأخير هو طرح الأشكال السياسية بدرجة أولى، مرتكزة في ذلك على عدة وظائف ومزايا منها:

ـــــــ اللجوء إلى السرد المفصل للوقائع والأحداث السياسية ونقدها نقدا بناء.

ـــــــ توضيح حقائق سياسية.

ـــــــــــ الاعتماد على الاقناع والدعاية والالتزام.

ـــــــــ النسق السياسي موجه لكلمة الإنسان أكثر من أي نسق آخر.

ـــــــــ يقوم في مجتمع له معالمه وخصائصه الواضحة والمميزة."[1]

ـــــــ نزوعه إلى التسجيلية والواقعية ليصبح أكثر إقناعا.

وبهذا فإن الرواية السياسية هي عبارة عن ترجمة لأحداث ووقائع سياسية يصوغها الكاتب في لوحة فنية.

كذا للرواية شأن في صقل أشكال الحكم وإدارة شؤون المؤسسات السياسية بحسن تدبير نستلهمها من متون الخطاب الروائي التخيلي. لأن الرواية تدافع عن نفسها في زخم الأحداث والتقلبات المتسارعة في أزمنة الصراع. ثم إننا نستخلص بأن مرتكزات الرواية ذاتية وموضوعية وبينية، تؤلف بين الذوات وبين الأنا والآخر، تحايد الزيف والتضليل، وتأخذ بناصية العقل عبر خطاب الفن لتجسير الصلات الضرورية بين السردي وبين التخيلي.

المبحث الثاني: مفهوم كل من الشخصية، الزمان والمكان:

الشخصية:

لغة: لقد جاء في كتاب العين: " الشخص سواد الإنسان غذا رأيته من بعيد، وكل شيء رأيت جسمانه فقد رأيت شخصه، وجمع الشخوص والأشخاص"[2].

[1] - المرجع نفسه، ص 39.

[2] -أحمد خليل الفراهيدي، كتاب العين، ج2، باب الشين، مادة شخص، ص914.

أما في لسان العرب: "شخص: الشخص: جماعة شخص الإنسان وغير.....، والجمع أشخاص وشخوص وشخاص"[1].

ب-الإصطلاح الأدبي: أن الشخصية من أهم العناصر أو البنى التي تشكل البنية الكلية للرواية.

الشخصية نتاج عمل تأليفي[2] إذا تحدد الشخصيات من خلال الأثر الذي دخلته في العمل الروائي إذ عمل الشخصية عمل تأليفي ويقصد أن مهامها موزع على حسب الأوصاف والخصائص وهذا ما يظهر قيمتها الفنية داخل العمل الروائي.

تعريف الزمن:

لغة الزمن، والزمان: إسم لقليل الوقت وكثيره، وفي المحكم: الزمن والزمان العصر والجمع أزمن وأزمان وأزمنة، وزمن زامن: تشديد وأزمني الشيء: طال عليه[3].

وجاء في كتاب العين لغة: زمن الزمن: من الزمان والزمن: ذو الزمانة والفعل زمن يزمن زمناً وزمانة، والجمع الزمني في الذكر والأنثى وأزمن للشيء: طال عليه الزمان[4].

ب-الاصطلاح الأدبي: يمثل الزمن محور للرواية وعمودها الفقري يشد أجزاءها، كما هو محور الحياة ونسيجها، والرواية في الأدب مثل الموسيقى هو فن زماني لأن الزمان هو وسيط الرواية، كما هو وسيط الحياة[5].

تعريف المكان:

لغة: جاء في كتاب العين" مكان في أصل تقدير الفعل: مفعل لأنه موضع لكينونة، غير أنه لما كثر أجروه في التصريف مجرى الفعال، فقالوا مكنا له، وقد تمكن"[6].

---

[1]-ابن منظور، لسان العرب، ج7، باب الشين، مادة شخص، ص51.

[2]-حميد الحمداني، بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1991، ط1، ص51

[3]-ابن منظور، لسا العرب، ج6 باب الزاي، مادة زمن ص86.

[4]-أحمد خليل الفراهيدي، ج2، باب الزاي، مادة زمن، ص195.

[5]- مها حسن القصراوي، الزمن والرواية العربية، دار الفارس للنشر والتوزيع دط، 2004، ط1، ص36.

[6]-أحمد خليل الفراهيدي، كتاب العين، ج4، ص161.

وورد في لسان العرب: مكن: المكان: الوضع، والجمع أمكنة.....وأبدلة، وأماكن الجمع"[1].

أما في الاصطلاح الأدبي: أنه الفضاء الذي يشهد فيه النص شخصية وحدث وزمن ولا يمكن لهذه البنية أن تقوم بدورها إلا في وسط فضاء للفعل[2].

والمكان في النص الرواية عبارة عن الكلمات التي ينسقها الروائي داخل العمل الابداعي.

[1]–ابن منظور، لسان العرب، ج13، ص163.

[2]–محمد الامين البحري، بنية الخطاب الأساوي في رواية التسعينات الجزائرية، ص109.

لأن الرواية نمط فني انبثق من رحم المعاناة الفردية والسوسيوثقافية، نشأت الرواية في بيئات مختلفة من العالم، لها رؤاها ورافدها، ممتدة هي في تعبيراتها اللغوية العديدة، تجاري وتحاكي القيمة والأثر، تخلخل الساكن وتدفع بالديناميكي. أثر الرواية موسوعي شمولي، لا يكاد ينضب له نبض، تسري الروايات في الخيال، لتعبر جسور السرد والعرض الفني البديع، " الرواية لا تعرف قواعد ثابتة وقاطعة، وأصولها غامضة ومثار جدل، وموضوعها قد تطور مع الزمن، ولا حدود لتعدد وتغير طريقتها ونبرتها... الرواية مؤلف مكتوب نثرا، الرواية نوع أدبي دون شكل محدد سلفا، الرواية لا تعرض إلا المحسوس، الرواية تخييل، الرواية حكاية، الرواية محكي.[1]

[1] - بيير شارتيه: مدخل إلى نظريات الرواية، ص ص 10 - 11.

الفصل الثاني:

تجليات البعد الإيديولوجي والسياسي في رواية سيدي جليس

المبحث الأول: الأول: تمظهر البعد الأيديلوجي والديني والسياسي في الرواية

عرفت روايّة سيدي جليس في طياتها العديد من الأبعاد الأيديولوجيّة والعقائد الفكريّة، كان أبرزها البعد الأيديولوجي الدّينيّ والسّياسي، نظرا لطبيعة الوضع الاجتماعي المرهون بفترة زمنيّة معيّنة والقضايا المطروحة في ظله، وأثر الطرّق الصّوفيّة على الشّعب الجزائري، وعلاقتها بالدّين الإسلامي عامة، علاوة على الفكر السّياسي السّائد في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر، وسعيه لفرض نفوذه على أبناء الوطن، ومن هنا وجب الوقوف على هاذين البعدين وفق ما يطرحه النّص من أفكار وما يشير إليه من قضايا.

1ـــــ1 البعد الأيديولوجيّ الدّيني في روايّة سيدي جليس.

يعتبر الإسلام دين الله الحنيف الذي جاء به خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، عقيدة التوحيد التي تدين بها أغلب المجتمعات العربيّة منذ قرون عديدة، امتدت من المشرق إلى المغرب وصولا إلى باقي بقاع العالم، وإن ترنح عدد المسلمين بين بلد وآخر، وعندما نقول الدين الإسلامي، لا ننفي وجود باقي العقائد والدّيانات الأخرى (كالمسيحيّة، واليهوديّة والنّصرانيّة...) (شيعي، سني، صوفي ...) ويعتبر التمازج الحاصل بين عدة ثقافات وديانات في الوطن الواحد (العربي) حتميّة لا بد منها نظرا للتّاريخ والجغرافيا... ومع ذلك نجد فروقا كبيرة بين فئة وأخرى رغم أن البلد واحد (كالجزائر مثلا) لكنها تبقى أقليات مقارنة بعدد المسلمين، ومع سيطرة القانون الإسلامي على أغلب التّشريعات التي تمشي عليها هذه الدّول العربيّة، معتمدين على القرآن الكريم الذي أنزله الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم بلسانها " نزل القرآن معجزا ومتحديا لكل من لم يؤمن به ولم يصدقه ولم يكن أحد من الأمم أن يخالف في ذلك أو ينكره... واستمر ذلك في سائر العرب..."[1] وجعله

[1] محمد بن عبد العزيز العواجي، إعجاز القرآن الكريم (عبد شيخ الإسلام ابن تيميّة مع المقارنة بكتاب إعجاز القرآن للبقلاني)، تد حكمت بن بشير بن ياسين، محمد عمر عبد الله حويّة، ط1، مكتبة جار المنهاج، الرياض، 1428، ص101.

"... أساس الحياة الإسلاميّة جميعا، حيث اشتمل على تفصيل كل شيء، فمنهجه شامل لكل القضايا الحياتيّة، محيط بكافة النّظم التي يحتاج إليها الإنسان ظاهرا وباطنا منفردا ومجتمعا."[1] وفي ظل الدّين الإسلامي ظهرت عدّة طرق ومذاهب ومسالك دينيّة، فهذا ما سنحاول التّطرق إليه في روايّة سيدي جليس.

1ـــــ1ـــ1 الفكر العقائدي الصّوفيّ وعلاقته بالفكر الإصلاحيّ:

يعتبر التَّصوف ظاهرة قديمة جاءت بعد وفاة الرّسول صلى الله عليه وسلّم، اتبعها مجموعة من النّاس، وحاولوا ترسيخ مبادئها لدى كثير من الأشخاص، واقترنت التّسميّة (التّصوف) بمعاني ودلالات مختلفة" وقد ذهب قوم إلى أن التصوف منسوب إلى أهل الصفة ، وإنّما ذهبوا إلى هذا لأنهم رأوا أهل الصفة ما ذكرنا من صفة صوفه في الانقطاع إلى الله عز وجل وملازمة الفقر لأنّ أهل الصفة كانوا فقراء "[2] فارتبط التَّصوف حينا بالعبادة وأحيانا أخرى بمادة الصّوف وما تخلقه من دفئ روحيّ ، فـــ"منهم من ينسب ذلك إلى التّقوى و التقشف وليس الصوف و التكلف في تنمق الكلام واللّباس وغير ذلك، ومنهم من يسرق في الطعن... حتى ينسبه إلى الزندقة والضلالة... أما ما صح من أصول مذهبهم المؤيد المنوط بمتابعة كتاب الله عز وجل، والاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم والتخلق بأخلاق الصحابة والتابعين والتّأدب بآداب عباد الله الصالحين..."[3] وسئل أبو الحسين الفناء رحمه الله عن معنى الصّوفي فقال: "مأخوذ من الصّفاء وهو القيام لله عز وجل في كل وقت بشرط الوفاء."[4]

---

[1] المرجع نفسه، ص123.

[2] جمال الدين أبي الفراج عبد الرحمن ابن الجوري البغدادي، تلبيس إبليس، دار الفكر، ط1، لبنان، 1431ه، 2001، ص146.

[3] ينظر، أبي نصر السّراج الطوفي، اللمع، تح عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديث، دط، 1380ه ـــــ 1960م، مصر، ص21.

[4] المرجع نفسه، ص46.

ويجد المتتبع لمسار التّصوف في الجزائر أنّه قديم النشأة متجذر في المجتمع الجزائري نظرا للحقب الزّمنيّة التي شملها وتعداها بوصول أصحاب الفكر الصوفي المترنح من بلدك إلى آخر فزرعوا معتقداتهم في مناطق عدّة " من القضايا التي عرفت اهتماما كبيرا: أن التصوف بدأ في المغرب الإسلامي تصوفا نظريا، ثم بدأ يتحول في القرن التاسع الهجري، واتجه إلى الناحية العملية الصرفة و أصبح يطلق عليه تصوف الزّوايا والطّرق الصّوفية وقد ظل هذا التّصوف العمليّ سائدا في جميع أنحاء المغرب العربي حتى بعد سقوط الدويلات الثلاث ودخول الأتراك العثمانيين."[1] فالانتقال من التّنظير وإلى التطبيق جعل النّاس أكثر وعيا به وتمسكا بمعتقداته وأفكاره، مما أعطى للجزائر صورة تحمل معالم الصّوفيّة بكثير من ممارساتها الدينيّة ترجمتها تلك الزوايا والقبب المتناثرة في كل شبر من الوطن.

اختلفت طقوس المتصوفة نظرا لاختلاف أيديولوجياتهم الفكريّة والمعتقدات والطقوس التّعبديّة وإن كانوا جميعا يجنحون تحت عباءة الدّين الإسلاميّ، فالمتصوفة في المشرق ليسو كمن هم في المغرب العربي " والملاحظ أنّ تصوّف المغرب العربي في القرون الأولى كان في معظمه فنّيا وهو ما يفسّر التعايش السّليم الّذي كان بينه وبين الفقه "[2] وظهر أيضا نوعان من التّصوف كون التّصوف كممارسة وكفكر يختلف كثيرا فتولد عن ذلك " أمّا الفلسفي فهو الذي ولج بقوّة إلى عالم الغيبيّات و لم يرعوا على أن يثير بعض الحالات الّتي قد لا يوافق عليها العقل وتتناقض تناقضا تامّا مع الشّريعة أو المنطق "[3] فهذا النّوع من التّصوف الذي راحت رواية سيدي جليس تحاول تسليط الضّوء عليها، كفكر يحاول زرع بذوره وسط الشّباب الجزائري بأفكار وطرق وممارسات يوميّة.

[1] عبد المنعم ألقاسمي الحسني، أعلام التّصوف في الجزائر، ص25.

[2] محمد مرتاض، التجربة الصّوفيّة(عند شعراء المغرب العربي)، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، 2009، الجزائر ، ص 13.

[3] المرجع نفسه، ص14.

حدد الرّوائي ياسين نوار التّصوف في روايته إبان الاستعمار الفرنسي للجزائر وجعله مرهونا بفترته الزّمنيّة، محاولا بيان طرقهم التعبديّة ومنهج تفكيرهم، وتعاملاتهم مع الواقع المعيش، فتراءت الصّور المتنافيّة مع تعاليم الدّين الإسلامي، فالصّوفيّة ما تؤمن به وما تدعيه من توحيد والإيمان بالله وحده لا شريك له، يتعارض بما تقوم به من طقوس وما تطرحه من أيديولوجيا وهو ما حاول الرّوائي طرحه في قول السّارد: " استخرت الإله وناشدت الأولياء"[1] فالقول يطرح معنا عميقا تتجلى فيه معالم التصوف المؤمنة بالأولياء حد اليقين وعبوديّة الأشخاص، فالوليّ الصالح كما يدعي أهل التّصوف رجل دين من أتباعهم أقاموا عليه ضريحا بعد الموت، فأصبحوا يزورونه بين الفينة والأخرى طالبين منه العون في مشاكلهم ولتحقيق أحلامهم، فيجعلونه وسيطا بينهم وبين الله لقضاء حاجياتهم، وهذا ما يتنافى والفكر الإسلامي التّوحيدي، فأصبح الأولياء الصالحين يحملون رمزا دينيا يلجؤون إليه الجزائريين المستضعفين طلبا للخلاص، فنراهم يتذرعون بها سرا وجهرا ليلا ونهارا، بداعي الإيمان بالله وهم يشركون به دون وعي لخطورة معتقدهم الفكريّ " رحماك يا ربي لطفا أيها الأولياء"[2] فاقترن لفظ الجلالة بالأولياء وجعلهم أندادا لهم، فالسّارد على لسان شخصيّته يبرز انتماءه الصّوفي وإيمانه المطلق بالأولياء الصّالحين، وفي هذا الصدد يقول الله تعالى: (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) البقرة (22).

ويعدّ الإيمان بالأشخاص وتقديسهم منطلق الصّوفيّة في الجزائر ومن البدع السّائرة والخرافات، لدى أنصار الطرقيّة وتابعيهم، وتعود أصل كلمة بدعة " من الفعل بدع، ويقال بدعة بدعا، أي أنشأه على غير مثال سابق فهو بديع للفاعل والمفعول "[3] فالله عز وجل بديع السموات والأرض أي خالقها ومنشأها، والإبداع إنشاء صنعة

[1] ياسين نوار، سيدي جليس، ص52.

[2] المصدر نفسه، ص 63.

[3] إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، معجم اللغة العربية، مطابع دار المعارف، مصر، ط2،جزء1، ص 43.

بلا إقتداء ومنه قيل ركبة بديع أي جديد الحفر والبدعة"[1] ويقال ابتدع فلان بدعة يعني ابتدع طريقة لم يسبق إليها سابق وهذا أمر بديع، يقال في الشيء المستحسن الذي لا مثال له في الحسن وكأنه لم يتقدمه ما هو مثله ولا ما يشبهه، ومن هذا المعنى سميت البدعة بدعة فاستخدامها للسلوك عليها هو الابتداع وهيئتها هي البدعة".[2] وبالتالي فالبدعة تشير إلى مالا يتطابق والسلوكيات المعمول بها والمنتشرة بين النّاس.

وامتدت بدع الصوفية لتشمل أرجاء عديدة ويبلغ مداها أقطاب ومواضع مختلفة، مما جعل ابن باديس يرفض تلك الممارسات التي كان يقوم بها المتصوفة، فوقف منددا ببدعهم ومحاولة الحد في انتشارها بين النّاس لأنها تتنافى بما جاء به الرّسول صلى الله عليه وسلّم لأنّ " ...المبتدع برغم من أنه من أهل السنة، وهو مخالف لأثار النبي وآثار أصحابه، "[3] فالبدعة هي "عبارة عن فعل لم يكن فابتدع والأغلب في المبتدعات أنها تصادم الشريعة الإسلامية بالمخالفة وتوحد التعاطي عليها بالزيادة والنقصان، فإن ابتدع شيء لا يخالف الشريعة ولا يوجد التعاطي عليها فقد جمهور السلف يكرهونه، وكانوا ينفرون من كل مبتدع وأن كان جائزا حفظا للأصل وهو الأتباع.[4] فهذا الاختلاف والسّلوكات الخاطئة جعل ابن باديس يقف معاديا لصفهم.

وتجلت معالم الطّرق البدعيّة عند المتصوفة في كثير من الممارسات، كتقديم النّذر والذبح على قبور الأولياء الصّالحين والعمل والتّصدق في مقاماتهم، وزيارتهم واستشارتهم في كل كبيرة صغيرة، فهذا ما جعل ياسين نوار يحاول بيانه ويكشف أغواره وماهيته، لما للشّأن من أبعاد وإيحاءات تعطي صورة صريحة عن فكر تغلغل في

[1] – أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني: تحقيق وضبط محمد سيد الكيلاني: المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة، بيروت، ص38 ، ص 39.

[2]– الشاطبي ظبطه وصححه أحمد عبد الشافي: الاعتصام،دار شريفة، ج1، ص 27.

[3]– جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمان، ابن الحوزي، تليس اجليس، ص 32

[4] المرجع نفسه، ص 32 ـــــ 33.

المجتمع الجزائري وأصبح أساس العقيدة عندهم، وفي هذا الصّدد يقول السّارد: " أخلفت موعد قطار الواحدة المتجه إلى مركز العبور وظللت متخفيا في الظلال طوال اللّيل أتقرب الشّعر ليلة الجمعة الأخيرة من شهر الصيام التي تقام فيها طقوس للغناء والرّقص التي عدت آرائها الغريبة إذ زالت عن عيوني غشاوة الجهل وأرتفع الحجاب، زار يحضره الدواوين والمتطفلون من كل ناحية للتّمايل والأكل من لحوم أغنام ذبحت على نصب، أو للتبرك بتقبيل يد القطب الأجل السابع، رجله في أغلب الأوقات...."[1] يقول عنها مبارك الميلي: " هي في عرفنا طعان يتخذ على ذبائح من بهيمة الأنعام عند مزارات من يعتقد صلاحهم ولها وقتان: أحدهما في فصل الخريف عند الاستعداد للحرث والآخر في فصل الربيع عند رجاء الغلة والغرض منها التقرب من ذلك الصالح لكي يغيثهم بالأمطار تسهيلا للحرث، وحفظا للغلة."[2]

ويعدّ التّبرك بالأولياء الصّالحين وأصحاب القبب وشيوخ الزّوايا من الحتميات اليقينيّة التي رسخت وشكلت قناعاتهم عند جل أنصار الصّوفيّة في الجزائر، خاصة في ظلّ غياب الوعي الجمعي، وانتشار الجهل والفقر والأميّة، فبمجيء الاحتلال الفرنسي وجد الفرصة مواتيّة لذرع أيديولوجياته الخاصة، فعمل جاهدا على طمس معالم الدّين الإسلامي، وراح يعزز هذه الممارسات البدعية والأفكار العقائديّة الغريبة عن الإسلام " فزيارة القبور المأذون فيها هي التي تكون على وجه شرعي من غير شد الرحال، فيزورها المسلم متبعا للسّنة فيدعو لأهلها عموما وأقاربه ومعارفه خصوصا، وأما الزيارة البدعية، فهي ما كانت شبيهة بزيارة المشركين وأهل البدع لدعاء الموتى وطلب الحاجات أو لاعتقاد أن الدعاء عند قبر أحدهم أفضل من الدعاء في المساجد والبيوت"[3] فتتراءى لنا شخصيّة السّارد تنادي ملأ فؤادها وجوارحها أولياءها وتابعيهم قائلا: " أيّها الأسياد، أيها الأسيااااااد، أيها

[1] ياسين نوار، سيدي جليس، ص 203.

[2] محمد بن مبارك الميلي، الشرك ومظاهره، ج4، ص 215، ص 227.

[3] محمد بن عبد الوهاب: القول السديد في مقاصد التوحيد، ص 70.

الجدوووووود"[1] بيقين ومعتقدات الصّوفيّة تعلّم النّاس هذه القناعات الوهميّة بعيدا عن تعاليم الدّين الإسلامي الحنيف، بصلتهم.

1ـــــ1 ـــــ 2 الفكر الأيديولوجيّ عند ابن باديس ومقاطعته للطّرق الصوفيّة:

نرى في آيات الله تجلي معالم الحياة ، فصار لزاما على المسلم الدّفاع عن دينه والعمل على حمل رايّة التوحيد والسّمو بها بين باقي الرايات الأخرى، والوقوف بالمرصاد في وجه كل من يحاول التّطاول عليه أو خلق بدعا وصورا أو فكرا لم يكن موجودا في عهد الرّسول صلى الله عليه وسلّم وتابعيه، فتولدت في ذات المسلم الحقيقي المبتعد عن التّكلّف والمبالغة ـــــ كحال المتصوفة ـــــــ أن يخدم دين الإسلام كضرورة لا بد منها باعتقادات راسخة وثقافة منفتحة متفهمة ومتيقنة أنّ الجهاد في سبيل الوطن والثّوابت عمل الأحرار والمناضلين الشّرفاء، بل حث عليه القرآن الكريم بقوله تعالى": انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (41) التوبة.

يعتبر ابن باديس رائد ثورة الإصلاح في الجزائر ومن مؤسسي جمعيّة علماء المسلمين، وأحد رجالات الجزائر الأحرار، الذي حاول جاهدا بيان معالم الدّين وانتشار الوعي، فكان على خلاف مستمرّ مع أنصار الصّوفيّة في الجزائر رغم أن الجميع ينطوون تحت عباءة الإسلام وكلمة لا إله إلا الله، إلا أنّ ممارسات الأخيرة، وما زرعته في عقول الجزائريين من طقوس وادعاءات وهميّة جعله يحمل لواء الإصلاح ويندد بأفكارهم المضللة وطقوسهم الغريبة، ففي ثنايا الدّين الواحد ظهرت فرقا وطرقا ومذاهب للتّعبير عن عباداتهم، فمنها من حافظت على وجودها وأخرى تاهت في غياهب الوهم وصنعت لنفسها مقامات ليس لها صلة بالإسلام، فالقرآن الكريم احتوى بتعاليمه

[1] ياسين نوار، سيدي جليس، ص37.

حياة الناس ونضم وجودها وجعل لها فكرها ووجودها لقوله تعالى: "إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ(19) البقرة.

راح ابن باديس مصلحا ومحاولا إخراج الشّعب الجزائري مما هو عليه، خاصة مع تزايد البدع والأفكار المغلوطة المروّج لها من قبل الصوفيّة، فتمادت في أيديولوجياتها الوضعيّة حتى أقنعت مريديها وأتباعها أن فرنسا قضاء من الله ولا يجب أن نعارض هذا القضاء يقول السّارد على لسان شخصيّته" إنه ليس للمؤمن العصري من سلاح يستعيض به عما يعانيه في يومه وغده إلا الصبر ومزيد الصبر، فهو الداء النّاجع، إنه الترياق الشّافي، فلا سبيل قبله أو بعده لمواجهة فرنسا وأشياعها أو دفع القدر ،بل إنّها في ذاتها القدر، بل إنّها في ذاتها القدر الذي لا يغلب،إنها المحتوم الذي لا يهزم ، إنها المكتوب الذي مأمنه مفر ولا مهرب .."[1] وبهذا الفكر لا يرى لنفسه خيار فيما يفعل أو سيفعل.

يطرح الرّوائي ياسين نوار ـــــــ من القول السّابق ـــــــ فكرة القضاء والقدر ضمن ما يتوافق وفكر الشّخصيّة وثقافتها الدّينيّة التي راحت الزّوايا والقبب ترسّخها، بدعاوى الإيمان بالقضاء والقدر الذي يحثّ على القطيعة مع الواقع والعدول عن مجاراته لأنّ الله متحكم في مقاليد الأمور، محاولين إقناعهم انطلاقا من آيات الله القاطع بالقضاء والقدر التي جاء ذكرها في القرآن الكريم، يقول تعالى :" الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (2) الفرقان. وقوله أيضا:" وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ (3) الأعلى،وقوله أيضا " إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (49) القمر.

[1] ياسين نوار، سيدي جليس، ص134ـــــ135.

وتحمل الآيات الكريمة معاني عديدة ومعطيات كثيرة وتفسير الآيّة الأخيرة تصّب في ما معناه " أنّ كل الخلق جاء ويمضي على قدر، وهناك العديد من الآيات الدالة على القضاء والقدر، كل شيء يسير بأمره، وهذا التّقدير الدّقيق، والعلم القديم بما كان وما يكون، وعدم خروج الأمر عن دائرة التّقدير الإلهي، هو ما ألزمنا الإسلام بالإيمان به، في موضوع القضاء والقدر، وجعله جزءا من الإيمان بالله، لا يتم الإيمان إلا به."[1] والأمر لا يتعارض والسّعي في الدّنيا والعمل على تغيير حياة الإنسان للأفضل، فاستسلام معظم زعماء وشيوخ الطرق الصّوفيّة للإدارة الاستعمارية بتفاسير ذاتيّة لا فقهيّة بعد أن أصابهم الإعياء والوهن والتّعب، وتعاونوا معها وخدموها لأسباب ودوافع مختلفة ومتنوعة.

وتتراءى لنا العقيدة الإسلاميّة الطرقيّة لدى المتصوفة في روايّة سيدي جليس المؤمنة بأحوال الآخرة ومعرفتها بتعاليم الدّين الإسلامي، فنراهم أكثر درايّة بتفاصيله وأخباره "أعفو عنه ..أشهد الله والناس أنني لن أطالب أبدا بتعويض ولن أسأل عن قصاص. من هذا الركن، أعاهد جميع الحاضرين بأنني لن أسعى أبدا لثأر، عسى أن يعفو الله أيضا عن عبده ويعيده بريئا على الفطرة مثلما ولدته أمه "[2] فيتضرعون إلى الله ويعودون إليه في كلامهم وتفاصيل حياتهم، فيؤمنون بالقصاص الذي سنّه الله على عباده، لتتراءى لنا عدّة تناصات دينيّة فـــ" التّناص هو حضور النّصوص الغائبة التي تتناص مع النّص المقروء، أي: هو ذلك المفهوم الذي يدرس مسألة تعالق مع النّصوص الأخرى، أيا كانت هذه النُّصوص."[3] فالاغتراف من الدّين الإسلامي وتعطير أفواههم بآياته وأحاديثه جعل إقبال النّاس على الطرق الصّوفيّة بنهم وحب شديدين محاولين التّمسك بمعطياته وتعاليمه.

---

[1]– ياسين نوار، سيدي جليس، د ص.153

[2] المصدر نفسه،ص153.

[3] محمد بوقفحة، التّناص في الشّعر الجزائري المعاصر،إشراف عبد الوهاب ميراوي، رسالة دكتوراه، كليّة الآداب والفنون، جامعة أحمد بن بلة، وهران، ص. 08.

ونجد تعالقا رهيبا بين ما تفرز الرّوايّة من أحداث وما ينّص عليه القرآن الكريم، استشهادات من القرآن الكريم جاءت على لسان الشّخصيات تبيّن طبيعتهم الأيديولوجيّة وأفكارهم العقائديّة " ما أصغرني وأضعف شأني عند النّاس !.. ما أهون أمري وأعظم وقعني هذه الكرة!.. ها قد عفا عني العدو المبين مرتين متعاقبتين وعاقبني الصديق **..!** بينما أنا كذلك واقع بحيرتين إذا بالآية تنزل من عل لا أحسبها تقصد في العالمين سواي "**–وبشر الصابرين ..**" وأنا أثوب إلى رشدي ببطء فكرت ؛ هذا ما جنيته على نفسي، كل ما أقاصيه للحظه أوصلني إليه عنادي ، جهلي وقلة معنا تبصيري في العواقب ، بل إن ثقتي المفرطة في من حولي ما قادني رأسا إلى ما أنا فيه .. ها أنا أكمم وأعامل كالحيوان الأعجم !.."[1] فهذا القول يحمل في طياته استشهادا موجزا من القرآن الكريم كقوله (وبشر الصّابرين) ليشير رمزيا إلى حفظ الصّوفيّة للقرآن الكريم واطلاعهم عليه، وجعله خطابا صريحا لهم.

إن التأمل في مبنى الطريقة وجوهرها وهو التصوف، يجد أنه نزعة روحية تقوم على نظرة معينة للدين والدنيا والغاية من وجود الإنسان، وأن التأمل في مراتب التسليك الصوفي ودرجاته الترقي والروحي، المعبر عنها بالمقامات والأموال،لا يملك إلا أن يستنتج أن الطريقة الصوفية تمنع للمريدين منهجا في التدين، هو ما تثبته جميع الطرق الصوفية تفتخر به، لكنها تنسبه إلى الذين وتشبه طوقها بالشرع من الطرفين فقد أشار يا يسين نوار إلى ذلك في روايته، من خلال قوله: التقطت كلمة الأوتاد و المعاذ، والزاد القليل ليوم العتاد مرة ظننت أنني سمعت الحلول والإتحاد وكانت تلك أيضا أول مرة أسمع لفظة الجبة والحلاج صاحب الأحاجي والأفاضل والطريقة للحقيقة، المنهج والمخرج، الركن والمكاشفة، المعانية، المجاهرة، مقامات اليقين ومقامات الحيرة وعلوم الإتحاد والغيب، والتنجيم والحضرة، الورد والضد ودرجات اليقين والفتوحات.... "[2] فهنا نجد أن الطريقة الصوفية تبتعد كل

[1] ياسين نوار، سيدي جليس، ص161– 162.

[2] – ياسين نوار، سيدي جليس، ص 72.

البعد عن سنة رسول الله، والجمعيّة تعمل عكس ذلك، فهي تدعو إلى التمسك بالدين الإسلامي وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

تبين الآثار السّلبية للطّرق الصّوفية في المجال الثّقافي من وجهة نظر أثر جمعية العلماء المسلمين في تكريس الجهود والتّخلف، فمن مآدب المريد أن التفكير والتساؤل والاستدلال كلها أمور محرمة عليه في تعامله مع الشيخ وأن المريد أن يخرج من عمله ويكتفي بعلم شيخه ويستغني عن سواه، وأن يعتقد أن الخطأ أفضل من صوابه هو إلى غير ذلك من الآداب التي تعبر عن نزعة التسليم التي انتقلت من مجالس الطرق وزواياهم إلى مجالس العلم وسيطرت عليها وفتكت بعقول المعلمين والمتعلمين، وكان من آثارهم الارتخاء الذي نشأ هذه في ملكاتنا العلمية، وهذا الفتور المستحكم الذي أدى إلى انضباط وتدني في العلم"[1]

ونجد في رواية سيدي جليس أنّ المجرم يتمتع بثقافة دينية كبيرة، وهي صفة المتصوفة العامرة ألسنتهم بذكر الله، ولكنّ أفعالهم تقود غير ذلك فـــ" لقد صرف شيوخ الطرق الناس من فوائد القرآن وخبراته وبركاته بما ابتدعوه من أوارد وما اخترعوه من رسوم وما أضافوه إليها من تلك الفوائد والخيرات والبركات"[2]. فتراءت لنا تناصات عديدة بيّنت ماهيّة الأشخاص حيث يرتل العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فمثلا يقول: "أجل، الرجل معه حق لقوله سبحانه: " العين بالعين والسن بالسن والجروح قصاص"[3] وقوله أيضا: " أعفو عنه ..أشهد الله والناس أنني لن أطالب أبدا بتعويض ولن أسأل عن قصاص. من هذا الرّكن، أعاهد جميع الحاضرين بأنني لن أسعى أبدا لثأر ،عسى أن يعفو الله أيضا عن عبده ويعيده بريئا على الفطرة مثلما ولدته أمه "[4] فالمتصوف

[1] محمد البشير الإبراهيمي:آثار البشير الإبراهيمي، ج1، ص 74.

[2] – سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين، ص 30 – ص 39

[3] ياسين نوار، سيدي جليس، ص 97

[4] ياسين نوار، سيدي جليس، ص153

يلقن تعاليم الدين الإسلامي بطريقة تجعله لا يفقه فيه شيئ لأنّه يحفظ بمنطلق خاطئ وشرح فقهي يوجهونه حسب مصالحهم الخاصة، يزرعه الشّيوخ في أذهانهم ويلقنوه لهم.

كان لجمعية علماء المسلمين تأثيرا كبيرا على الصوفية حيث عملت على إبطال أعمالهم وادعاءاتهم الكاذبة، وذلك بالدّعوة إلى الابتعاد عن خرافاتهم وكل ما يتعلق بهم ومن بين هذه التّأثيرات تأثير دروس الشيخ عبد الحميد التي كان يلقيها لعدة سنوات بالجامع الأخضر قسنطينة في الدعوة إلى الإصلاح ونبذ البدع ومقاومة الخرافات والجمود وتحرير الفكر الجزائري من سيطرتها وهذا ما نجده في رواية سيدي جليس من خلال " لقد خرج بعض المصلين المتأخرين من مسجدا الأخضر القريب حيث لقي الكهل المعمم دروس ما بعد صلاة الفجر والعصر أحيانا "[1] وكذلك قوله: " فإذا كان هذا الإمام المزعوم الذي يرفع رأسه بوجه أسياده و أجداده الأولين على هذه الدرجة من الأهمية بالنسبة إلى تابعيه وصلابة"[2] كما أنه وجد التفاف كبير حول ما يقدمه من الشباب الجزائري حيث يقول الرّواي على لسان المجرم " أجل، حقا إذا كان له فعلا ذلك الكم الهائل من الطلبة والإشباع واستطاع أن يلتفت نظر القطر في ذاته ويصب قلبه الطاهر بالكمد والحسرة"[3]

عملت الصحافة العربية الإصلاحيّة في الجزائر والدور الذي بلغته في تحضير الرأي العام في أوائل العشرينات منه صحيفة الشهاب لابن باديس، حيث نجد أنها هي الأخرى "... وهذا ما دفع بالمستعمر الفرنسي إلى العمل على غلق أبواب الجريدة " لقد أدرك الأعداء أخيرا أنه لا نغلق مقر " البصائر" وتشميع باب " الشهاب " تنهار الجمعية، فهو أنه لا حصار بين الإمام وصحبة تغوص أركان النهضة، ولكن بإعدام الرجال دفعة وترهيب الناس

[1] المصدر نفسه، ص44.

[2] المصدر نفسه، ص16

[3] المصدر نفسه، ص16

"[1] استمرار سياسة الدمج الفرنسية التي كانت تدعمها الطرق الصوفية حيث نجد المجرم في الرواية يقول " كيف لا يكون غرر بهؤلاء المساكين، وهو قدومهم إلى مشارف الهلاك وغرس داخل رؤوسهم الصّغيرة أفكار الثّورة على أمهم وحرضهم على شق عصا " فرنسا"، التي ترعاهم وتحمي ظهورهم من آماد بعيدة وأحقاب لا تعد"[2] فالمجرم يعتبر فرنسا أمه ولابد من التأقلم معها والعيش معا بسلام.

وعملت " الطرق الصوفية والمرابطين المنحرفين الذين أبعدوا الدين الإسلامي عن أصوله الحقيقية واهتموا باستغلال نقوس الفئة الجاهلة باستخدامها في أغراضها الخاصة والتي تخدم الوجود الفرنسي "[3] حيث أن القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين، كما وضع أول مرة كان الذين وضعوه شطرهم من الطرفين ولكنهم ما أكملوا السنة الأولى حتى فروا من الجمعية وناصبوها العداد واستعانوا عليها بالظلمة ورموها بالعظائم وجلبوا عليها من كل ناحية بكل ما عندهم بكيد فنجد في الرواية أن لطرف الصوفية طقوس متعارضة كل الاعتراض مع ديننا الإسلام، حيث نجد أن المجرم في أحدث الرواية كاملة يظن نفسه أنه بقتله لعبد الحميد سوف يتقرب من الله ويكون مثواه الفردوس الأعلى.

وفي الأخير يمكن القول أنّ الطّرق الصّوفية وزوايا الدّينية أدوارا مهمة في الحياة الدينية والثقافية والاجتماعية، بل حتى السياسية في الجزائر، كما عملت على تفريق الأمة حيث يقول عبد الحميد بن باديس " بالرّغم ما في الأمة الجزائرية من أصول الحيوية القومية فقد عكرتها البلايا والمحن حتى استخدمت وذلت، وسكنت على الضيم،

---

[1] المصدر نفسه، ص 87.

[2] ياسين نوار، سيد جليس، ص 87.

[3] رابح تركي، الشّيخ عبد الحميد ابن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتّربيّة في الجزائر، ط5، منشورات المؤسسة الوطنية للإتصال النشر والإشهار،2001، ص179.

ورضيت للهوان وبالرغم ما بينها من روابط الوحدة المتينة فقد عملت فيها الطرقية المحركة تفريقها وتشتيتها حتى تركيبتها إشلاء لاشعور لها ببعضها ولا ينفع..... "[1]

1ـــــ2 البعد الأيديولوجي السّياسي:

عملت الرّوايّة منذ نشأتها الأولى على تبني خطابا سرديا يعمل على إبراز الأيديولوجيات والأفكار وبيان الصّراعات والأهواء، وهذه المواضع لم يكن بعيدا عن الساحة الأدبيّة في الوطن العربي فـــــ " لقد سجّل الرّوائيون العرب صراع الفرد مع السّلطة في أعمال عديدة كاشفين حقيقة العلاقة التي تربط الفئة المثقفة بالفئة الحاكمة، والتي في أغلب الأحيان لا تسمح للفرد بالوجود إلا إذا قبل أن يكون جزءا منها أو أداة من أدواتها."[2] ولطالما اتخذت السّلطات الحاكمة في شتى بقاع العالم أيديولوجيات خاصة بها من أجل إثبات قوامها وبيان معالمها والتّرويج لنفسها بنفوذ يستمرّ سنينا وأعواما.

وقد خلقت الأيديولوجيات المختلفة والمتفاوتة صراعات ونزاعات تراءت فيها المصالح والقيّم والأخلاق الذاتي، ونتج عنه أبعادا عديدة لا يكاد المرء يحصرها في سبب محدد، فحاول البعض بيان ماهيته في متونهم السّرديّة والتعبير عنها " فالصّراع السياسي له مكانته في الرواية العربيّة، التي كشفت معاناة الفرد وهو يصارع نظاما يرفض أن يعطيه حقوقه المسلوبة وعلى رأسها حق التعبير بحرية، هذا الفرد الذي إذا ثار لا بدّ أن تكون ثورته منظمة ومحكمة ولها من يعضدها وسط الجماهير لعلّها تحقق القضاء على غربة الإنسان في مجتمعه."[3] فكان النّظام الفرنسي حاضرا بقوّة في الأعمال الأدبيّة الجزائريّة التي راحت تعبر بكل أسف عن صعوبات هذه المرحلة،

[1] عمار الطالبي: ابن باديس حياته وآثاره، دار ومكتبة الشركة الجزائرية للتأليف والترجمة، للطباعة والنشر، ط1، 1998، ص 367.

[2] أحمد موساوي، في أدب نجيب الكيلاني (أبعاد الصّراع وامتداداته)، مكتبة الآداب، ط1، القاهرة، مصر، 2009، ص109.

[3] المرجع نفسه، ص 111.

وبامتدادها الطويل الذي دام لأكثر من قرن " الجزائر أول بلد في المغرب العربي يتعرض للاحتلال الأوربي سنة 1830م، و لم تستكين الجزائر ـــــــ أرضا وشعبا ـــــــ وتقبل جب الاحتلال بل انتفضت ثائرة، واستمرت المقاومة المسلحة فيها يزيد عن نص قرن مارست السّلطات الفرنسية فيها أقسى أنواع الإرهاب والتّسلط والقتل، واستخدمت أسلوب فرنسة الجزائر، لتعلن ضمها إلى فرنسا..."[1]

كانت الجزائر بشعبها وأرضها وكيانها الوجودي تحت طائلة فكر أيديولوجي فرنسي بعدما دحرت الكيان العثماني حيث " وضعت الحملة الفرنسية على الجزائر حدا نهائيا للوجود العثماني بالجزائر، وكان الانهيار السريع لنظام الحكم، دلالة واضحة على حالة الاضطراب السّياسي والتدهور الدّاخلي للبلاد، إذ بمجرد استسلام الداي حسين، حدث فراغ سياسي في البلاد و لم يبقى للناس شيء يجمعهم إلا الإيمان بوحدة العرش والولاء للقبيلة والطاعة للشيخ والمرابط"[2] فزال الحكم العثماني و لم تنته معالمه ومنهجه الصّوفيّ.

لا يرى في التّعامل مع الآخر إلا منفعة يحاول السّطو على خيراته وما تقدم له من منفعة تخدمه وتخدم شعبه (فرنسا) سياسة الاحتلال الفرنسي في الجزائر على فكر سياسي وذهنيّة كولونيالية لا تؤمن بحق الشّعوب في تقرير مصيرها، ففرضت هذا المنطق سنينا طويلة بمشاعر لاإنسانيّ على أبناء الشّعب الجزائري المضطهدين فقد "...كانت زاخرة بالعوامل ذات التأثير المباشر على شخص هذا الفكر التحرري الثّائر، لذلك لم يستطع أن ينفك عن هذه العوامل ويستقل عنها، لكونها تمس حياته وحياة كل مواطن ولد على أرض الجزائر. "[3]

---

[1] حازم مجيد أحمد الدوري، عبد الحميد بن باديس حياته ودوره السياسي والثقافي 1889ـــــ1940، مجلة جامعة زاخو، المجلد1، العدد2، 2013، ص313.

[2] أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج1، 1992، ص 255.

[3] فراس حمد فرسوني، الفكر التّحرري عند عبد الحميد بن باديس وأثره في استقلال الجزائر، إشراف محمد عوض الهزايمة، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا، 2009،ص32.

1 ـــــ2 ـــــ1 الفكر الأيديولوجي الاستعماري:

يتراءى الفكر بنماذج من الواقع تحدد أسسه وضابطه، تسيّره فتبرز معالمه، فنرى الكثير من الأفكار مطروحة يختار الفرد في طبيعتها وماهيتها الأيديولوجيّة، فيحاول أن يضفر بما يتلاءم ومجتمعه ومبادئه، خاصة في ظل التّقاطعات المجتمعية المتصارعة على أساس الاختلافات الموجودة في الواقع فهي علاقة تقوم في الواقع الإنساني العام على أساس من التعارض يصل في كثير من الأحيان إلى درجة التضاد والكره ومرات أخرى نجد هناك توافقا في الرؤى والأفكار حتى وإن اختلفت ماهيّة الأشخاص لإلزامية احترام الذات أولا وتفهم الآخر ثانيا، ونجد هناك العديد من الأيديولوجيات التي جعلت العلاقة بين الأنا والآخر في تنافر وتضاد مستمرّ، ليكون هناك شبكة من العلاقات بين " الآخر النّوعي ويقوم على التّفرقة على أساس النّوع مابين رجل وامرأة / ذكر وأنثى.

ـــ الآخر الديني : وتكون التفرقة على أساس الدين ، مسلم ، مسيحي ، يهودي ... إلى غير ذلك .

ـــ الآخر داخل الدين الواحد ويقصد به الطوائف والفرق المختلفة في كل دين.

ـــ الآخر السلطوي ويقصد به الانقسام ما بين حاكم ومحكوم.

ـــ الآخر العنصري حيث تقوم التفرقة هنا على أساس اللّون : أبيض ، أسود

والآخر من حيث الإقامة : ريفي ، حضري "[1]

وقد أفرزت رواية سيدي جليس لياسين نوار مجموعة من الأيديولوجيات المختلفة لكن في معظمها كانت لها أبعاد سياسيّة تكرّس عبوديّة الأشخاص وتسيء للآخر على أساس دينه وعرقه، وفرقه ... و تقلل من شأنه بشتى السّبل، فاتسمت هذه الممارسات بسياسة الكيل بمكيالين وطريقة مضبوطة ومدروسة جيّدا " .. ياله من

[1] صوافي بوعلام ، محددات الأنا والآخر في المتن الروائي الجزائري الجديد ، إ : د أحمد مسعود ، جامعة أحمد بن بلة وهران، 2014 ـــ 2015، ص19.

ماكر، يا لهم من دهاة جبارين هؤلاء الفرنسيس ! إنّهم حقا أذكياء العصر، عباقرة الزّمان، كما يقولون، متميّزون يفوقوننا في ميادن الحيلة والوسيلة بمراحل، وإلا ما مكثوا في على ظهر هذه الأرض الطّيبة لحظة واحدة من الدّهر، وماهنا لهم وجود أبدا، بين ظهرانينا نحن الأهالي وما قرت لهم عين، بل ما دخلوها من الأساس."[1] فالرّغبة في الاستيلاء على أرض الجزائر كانت هدف الفرنسيين، فحاولوا إيجاد الأعذار لفعل ذلك أمام المجتمع الدّولي لتمرير رسائلهم.

راحت الذّات الفرنسيّة الاستعماريّة تقود منهجها السّياسي بلغة الكولونياليّة محاولة إرساء وجودها العبثي في أرض الجزائر، فاتخذت من سياسة التّفريغ الفكري وضياع الهويّة سبيلا لتحقيق طموحاتها ، فجعلت الشّعب يعيش واقعا مزريا، حرمته من أبسط الأمور كالتّعليم وبذلك أرادت أن تقتل الوعي الفكري عند الجزائريين، فهذا ما أراد السّارد بيانه قائلا: " كان الغبار يعلو بعضها يظهر أنّها طويلة العهد بمس الأصابع. لم أقدر على قراءة العناوين من ذلك البعد، وحتى لو اقتربت أكثر، سأظل عميا على الفهم، إلا فيما نذر، بصعوبة بالغة ومشقة يفضّل الركون إلى الجهل، فأنا كما قلت مجرد أميّ آخر كالآلاف من الأهالي الذين حرص الفرنسيس على أن لا يتعلموا حرفا واحدا من لسان أسلافهم، ولا أقل من حرف. أجل أنا أميّ مثل جميع أهل قريتي، والقريّة التي بقربي أيضا، بل أنا أقربهم إلى الفهم، كأعور في بلاد تغص بالعمي، ولا حرج في ذلك ولا اعوجاج."[2] فزرع الجهل يعتبر وترا حساسا يعبث به الفرنسيّين ليكتسبوا القدرة على تمرير رسائلهم وجعل الشعب الجزائري يؤمن بها كيانا ووجودا.

[1] ياسين نوار، سيدي جليس، ص111.

[2] ياسين نوار، سيدي جليس، ص66

ويلغي الجهل وجود الفكر ويهدم كيانه، فتصبح الذّات تتخبط في واقع لا تعلم حيثياته، وما يحيط بها من ظواهر وممارسات، ليكون الفكر الأيديولوجيّ في متاهة من اللّاجدوى، فيفقد المجتمع وظيفته الحيويّة في بيان الخطأ من الصّواب " فإرادة الفرد تنبع دائما من الإطار العام للمجتمع الذي هو جزء منه، وكلّما كان المجتمع متماسكا وللأفكار فيه دور وظيفي انتظمت إرادة الفرد في اطرادها وتنافست الجهود المتناغمة."[1] ـــــــــ وهو حال الجزائريين ـــــــــ فالعلاقة بين الفكر والمجتمع مترابطة ومتماسكة لما لهما من تأثير مباشر في بناء المجتمعات، وهذا ما أرادت فرنسا ترجمته على أرض الواقع بجل السّبل والطّرق الممكنة أي(خلق مجتمع دون فكر يقود طموحاتها ويبني أسسهم).

وقد عملت السّياسيّة الاستعماريّة جاهدة على طمس ثقافة المجتمع الجزائري، وتهديم هويته فالأخيرة تعتبر عن صورة غير معلنة عما تتميّز به الأمم والمجتمعات لاحتوائها العديد من القيم والمبادئ، وليس غريبا وجود اختلاف في عناصر الهويّة ومكوناتها الثّقافيّة من مجتمع إلى آخر،فالهويّة الاستعماريّة الفرنسيّة ليست هي نفسها الهويّة الجزائريّة بل يوجد اختلاف كبير لا يتقاطعان في شيء، فلكل أمة خصائصها التي تميّزها كاللغة والدين والتّاريخ والتّراث والعادات والتّقاليد والأعراف لذلك كانت تطمح بمكر وخداع لتغييب أسسهم ومبادئهم وانتماءاتهم كالدّين الإسلامي.

راح ياسين نوار يبيّن طريقة تعامل الفرنسيين مع الجزائريين، وسياستهم التّهكميّة، يقول السّارد في روايّة سيدي جليس"ـــــــ أجل، أكد آخر، والله إنّما تنطق به اللّحظة الحق، كل الحق، لقد عرف الأوغاد كيف يضربون في هذه الكّرة، لقد أدرك الأعداء أخيرا أنّه لا بغلق مقر (البصائر) وتشميع باب (الشّهاب) تنهار الجمعيّة، فهموا أنّه لا بحصار بيت الإمام، وصحبه تقوض أركان النّهضة، لكن بإعدام الرّجال دفعة وترهيب

[1] مالك بن نبي، مشكلة الأفكار (في العالم الإسلامي) تر بسام بركة و أحمد شعبو، إشراف عمر مقاوي، دار الفكر المعاصر، ط1، بيروت، لبنان،1988، ص09.

النّساء. "[1] فالسّعي كل السّعي كان لدحر محاولات الشّعب الجزائري بالنّهوض بواقعة والارتقاء بلغته مترلة رفيعة لاعتبارها هي وعاء الفكر ف"اللّغة إذن حوار وتواصل، وليس مجرد قوالب لفظيّة."[2] فهذه القوالب هي من تمد الفكر بتوضيحات وبيّن أطواره ومعالمه حيث" تطرح اللّغة دائما علاقة جدليّة في علاقتها بالوجود والفكر، لتحسم هذه الجدليّة بكونهما وجهان لعملة واحدة."[3] فوجود أبناء الجزائر مرهون بلغتهم وتجسيدها على أرض الواقع لكونها تمثّل بطاقة تعريفهم، لهذا أرادت فرنسا بجلّ السّبل نزعها من لسانهم، فهذا ما جعل المثقفون ـــــــــ بقلتهم ـــــــ يحاولون جاهدين الدّفاع عن هذه الثّوابت بتأسيس الجمعيات والنوادي الأدبيّة، والجرائد والحوليات "إنّ جمعيته البائسة تلتهم في كل نهار يطلع مساحات جديدة، وأتباعا آخرين، إنّها تبتلع أراض شاسعة لم نكن نظن أن تبلغها يوما !."[4] وهو ما أثار حفيظة الاستعمار الفرنسي وعمل على دحر هذه الجهود وتقييدها، لأنه يعلم أنّها تسعى لزرع معالم الوطنيّة والتّمرد على الاحتلال.

استطاع الفكر الأيديولوجي الاستبداديّ أن يرسي معالمه بطمس هويات الأفراد، وتكبيل والحد من حركتهم، فصاروا غرباء عن أرضهم وكيانهم وما عادت لهم حتى الحريّة في التّنقل بين أرجاء مدنوهم، وأينما ذهبوا وجدوا حواجز وجنودذا تمنعهم من تجاوزها أو توقفهم ساعات وساعات أمامها " قد تجولنا مرارا وتكرارا صعودا وهبوطا من دون أن يوقفنا لطلب الهويّة والأوراق المرافقة أيّ كان، مع أن أًصغر طفل في (قسنطينة) لم يجرؤ على التّنفس إلا بإذن... إنّه لا أحد ينبس بحرف أو يشهر أصبعا إلا بإذن من (فرنسا)

[1] ياسين نوار، سيدي جليس، ص87.

[2] المرجع نفسه، ص 254.

[3] حنينة طبيش، مستويات اللغة في روايات الأعرج واسيني، مجلة إشكاليات، العدد التاسع/ ماي، 2016، ص11.

[4] ياسين نوار، سيدي جليس، ص18.

وموافقة شفهية أو مكتوبة.."[1] وقد كانت حريّة التّنقل حكرا على بعض الأشخاص المتعاونين مع الاحتلال الفرنسي فقط.

عملت الأيديولوجيّة السّياسيّة على إضعاف النّفوس، وتكميم الأفواه، وجعل الجزائريين تابعين وجواسيس دون أي ضمير وطنيّ يقود حياتهم " إنّ عشرات من النّاس موزعون كالدّبابير الجوعانة، في كل ركن من الأركان، يبلغون عمّا ما يحدث أولا بأول، في المساجد والساحات، في الأسواق العامة والدّكاكين والإدارات، في المصانع والشّركات، حتى في قعر البيوت مغلقة الأبواب والحمامات ومطابخ النّسوة والحاصل أن جميع هؤلاء الذين ينقلون الأخبار مدرجون في جدول الرّواتب."[2] فتمكنت منهم وقتلت داخلهم حس النّخوة والشّهامة، فصاروا أداة ووسيلة في يد العدو، متجاهلين ما يعانون منه أبناء الوطن الواحد" .. إنّه بلا شك بيدق من بيادقهم، كلب شارد من كلابهم أطلقوه علينا، وأنت في الأول والآخر أدرى بألاعيب القضاة، والمحامين الفرنسيس."[3] فشبه هؤلاء الخونة والحركى بالكلاب الوفيّة لأصحابها والبيادق التي منن خلالها استطاعت أن تتغلغل أكثر وثّبت أقدامها على أرض الجزائر العريقة .

عملت فرنسا على ذر الرّماد بالعيون، من خلال ممارسات تبيّن الفكر الأيديولوجي الغربي العبثي (أي العبث بالعقوم)، من خلال بيع الوهم وتظليل الرأي العام، من أجل بسط نفوذها وبيان نيتها المزيّفة لنهضة الجزائر وشعبها، ما جعل كثيرون من أبناء الجزائر يؤمنون بها كيانا ووجودا " إنّ الدّولة الفرنساويّة سيّدة، مهيمنة، أليست من بنى القصور وشيّد الجسور المتينة، التي تربط بين مشارق مدينة الصّخر ومغاربها، لا لشيء سوى أن يقترب الأباعد ويتواصل ذووا الأرحام؟..أليست من شق الطرق البعيدة في الحجر القاسي، وفجّر من

[1] ياسين نوار، سيدي جليس، ص109.

[2] المصدر نفسه، ص108.

[3] ياسين نوار، سيدي جليس، ص98.

الأرض العيون؟ أليست تزعم الحضارة العالميّة الحديثة بكل سبيل ممكن، بل إنّها الحضارة في ذاتها؟.. وقبل هذا وبعده، أليست (فرنسا) تؤيّد الدّين الحنيف، ملّة الآباء الأولين والأجداد، وتنفق عليها كم لا يخشى الفقر."[1] فمراوغاتها الفكريّة ترجمتها على أرض الواقع بخيرات وثروات الجزائر، فهي لم تقدم شيء إلا لتأخذ أشياءا أكثر، لكنها تريد أن تبان بوجه مانح لا ينتظر جزاءا أو شكورا " تمنح كما لا يمنح غنيّ آخر؟.. بلى، إنّ جميع ما يخبر به قطب طريقة الأعظم، كل الحق، إنّه صدق كل الصّدق، هو الحكمة عينها والصّواب."[2] فهذا العطاء يجعل منها دولة الأحلام في نظر كثير من الأشخاص المخدوعين بها وبما تقدمه لهم، متجاهلين سياسات القمح والقتل التي طالت كثيرا من نظرائهم.

عمدت الدّولة الاستعماريّة على لغة الظهور والتّخفي، بجواسيسها ورجال الأمن بجلّ أشكالهم ومناصبهم خدمة لطموحها في السّيطرة على جميع بلدان الشمال الإفريقي ...محاولين تحسس نبض الجزائريين في كل صغيرة وكبيرة، مترددين على الأماكن الخاصة والعامة دون أن يتركوا شيء بعيد عن أعينهم وكيانهم الاستبدادي يقول السّارد: " فجأة تنبهت إلى وجود شخص ثالث بالقرب. الحق الذي لن أخفيه عن أي واحد من النّاس، هو أنني لم أكن لأفعل مثل ذلك لو أنني شككت لحظة واحدة بوجود الضابط بالزّي الرّسمي، خلف ظهري يحصي عليّ أنفاسي من طرف خفيّ ويقيس أفعالي كلّها وأقوالي. أجل، أظنه برتبة رائد في سلك البوليس يجلس في مكان بعيد متواريا تماما عن زاوية نظري لهذا السبب فإنني لم أنتبه حين دخلت."[3] وهذه النظرات المرعبة والمشككة كانت ترهب الجزائريين لأنّها تسبق التّهم المزعومة والاعتقالات العشوائيّة التي من شأنها أن تقودهم إلى غياهب السّجن ، وجحيم التّحقيقات، والإساءة إليهم حتى من كانوا في الأمس القريب أحد أبائهم غير

[1] ياسين نوار، سيدي جليس، ص22.

[2] المصدر نفسه، ص22.

[3] المصدر نفسه، ص74.

الشّرعيين، تنصلوا وانسلخوا منهم فــ" ..من جهتهم كان الحراس بالثياب المطرزة الليلية يواصلون الضغط علي ويضيقون الحصار في كل شيء أحتاجه أو لا أحتاجه ،كأنني قد انقلبت عدو "فرنسا" الأول لا عدو لعلمها الأزرف والأبيض في العالمين سواي،، فقط لأنني لم أوفق إلى اغتيال من كان يجب التخلص منه."[1] لتجد الشّخصيّة تنقلب فجأة من حال إلى من وسيلة ضغط وترهيب إلى مضغوط وضعيف.

عمل الفرنسيون على ممارسة سياسة الأرض المحروقة ضد الجزائريين دون وجه حق أو قانون يبرر أفعالهم، فهذا ما جعل العالم يقر بعشوائيّة الفكر الأيديولوجي السّياسي خاصتهم " أي قانون هذا وأي حساب، شيخ مبارك، إنّ وجودهم على هذه الأرض في حد ذاته غير قانونيّ، ولا شرعيّ، إنّها دولة ظالمة، لم يترل بها الإله ولا بقوانينها من سلطان، إن مراسيمهم ونظرياتهم كلّها وضيعة وضعيّة لا تؤيدها أيّة شريعة منصفة على ظهر الأرض، هذا ما علمنا إيّاه العلامة عبد الحميد في جميع دروسه وخطبه فوق المنابر."[2] فقد أقامت فرنسا لنفسها امتدادا إقليميا ودوليا بصيغة وبذهنيّة براغماتيّة (الغايّة تبرر الوسيلة) دون مراعاة القوانين العالميّة والإنسانيّة.

قد خلقت سياسة فرنسا وعدائها للشّعوب الضّعيفة، حالة من الوعيّ بحق الرّد والدّفاع عن أوطانهم " لسنوات عديدة متواليّة كنت الذّراع الضّاربة التي قوضت أرجاء مدينتي في السّابق، وجعلت سلطات الفرنسيس تحتار في أمري مرارا وتحسبني عصابة متواطئة لا مجرد فرد واحد يضرب وهرب. طاردوني مرارا وضيّقوا عليّ في معيشتي ومقامي حتى كل منهم المتن والسّاعد، ثم ما لبثوا أن رضوا عني حينما أعياهم التّعب وفهموا أخيرا أنني لا أقصدهم بضر أو شر، ولكن همومنا واحدة مشتركة في النّهايّة."[3] ولم يكن الجيش الفرنسي ليسمح

[1] ياسين نوار، سيدي جليس، ص171.

[2] المصدر نفسه، ص99.

[3] المصدر نفسه، ص54.

بتمرّد الشّعوب على صيّغها وقوانينها، فكانت تقيم عليهم هجومات معاكسة وتطاردهم أينما حلوا أو ارتحلوا، لأنّ كبرياءها لا يسمح لأحد أن يعارضها " كنت أعرف جيّدا ما يضعف هؤلاء الفرنسيس ويجعلهم يذرفون الدّم منسكبا، فيفعلونه لأجل هرّة صغيرة جوعانة تتلظى في شوارع المدينة من الحر والبرد، سوف تنخلع قلوبهم لأجل جرو حزين عار الظّهر تدهسه سيارة مسرعة، لأرنب صغير مدلل ترفسه حوافر بغل أو حصان، سوف تطير أفئدتهم شعاعا وتنكسر خواطرهم كالزّجاجة فلا ترمم، من جديد لأجل حسون يبّسه الصّقيع في ليالي مارس المثلجة، ولكن أفئدتهم أبدا لن تحرك ساكنا، بإزاء ما يحصل لنا نحن الأهالي."[1] فعوالم القوة لدولة فرنسا لم تنع من ظهور حركات التّحرر والرّغبة في تغيير الواقع الاستعماري الذي فرضه بقوه، شبهه السّارد في روايّة سيدي جليس لياسين نوار بمعالم حيوانيّة.

حاولت فرنسا جاهدة جعل نظامها يتجلى في صورته العاديّة، فقامت بوضع محاكم وهميّة وأخرى جهويّة تمشي بعقليّة (فرق تسّد) لم تحترم فيها حريّة ولم تنصفه في شيء من قضايا ومشاكله الدّاخليّة" ولكن هؤلاء الغضاب البائسين لا يعرفون قطعا بأنّ ضابط الأسبوع وسادته وراء كل ما حصل من خرق للقانون في مدينة الصّخر، بأنهم وراء كل ما سوف يحصل من خروقات في المستقبل، إنّهم لن يتوقعوا شرا يصوبهم واحدا بعد آخر في الزّمان اللّاحق، فهم جميعا يقبعون في شكل ملفات مرقّمة وأوراق منضدة تعري ميولهم وتكشف أخفى خلجات نفوسهم، إن ذلك هو في الحقيقة أشّد أسلحة الإدارة الفرنساويّة، مضاء وتأثيرا."[2] فانعكس عليهم سلبا، وأخذت معالم وجودهم تتجلى.

[1] ياسين نوار، سيدي جليس، ص107ـــــ108

[2] المصدر نفسه، ص114.

المبحث الثاني: فاعلية الشّخصيّة وأبعادها الأيديولوجيّة والمشكلات الزمنكانيّة:

2ـــــ1 فاعليّة الشّخصيّة وأبعادها الأيديولوجيّة:

تغيّرت النّظرة إلى الشّخصيّة الرّوايّة، وتبددت ماهيتها وطريقة تجليها في العمل الأدبيّ "... أنّ كتاب الرّوايّة الجديدة من وجهة نظرهم للشخصيّة الرّوائيّة كانو على درجة عاليّة من الوعي الفني بحيث يناسب وصف الرّوايّة بصفتها عملا فنيا إبداعيا وليس مجرد انعكاس للواقع، وذلك لأنّ الشّخصيات في الرّوايّة على درجة عاليّة من الفنيّة بحيث تسهم في بنية النّص السّردي ككل، بالإضافة إلى فنيتها تجعل القارئ مشاركا في فهم الشّخصيّة الرّوائية علما بأن هذا الفهم يتعدد بتعدد القراء لاختلاف آرائهم وأمزجتهم وأهواءهم."[1] فالانتقال من صورة نمطيّة بنيّت على إعادة تشكيل الواقع إلى نظرة جديدة تجعل من الشّخصيّة تكتسي صورة الرّمزيّة، وهذا ما انتهجه ياسين نوار في روايته.

وتحمل الرّوايّة في طياتها أنواعا عديدة، وذلك عائد إلى "تتعدد الشّخصيّة الروائيّة بتعدد الأهواء والمذاهب، والأيديولوجيات والثّقافات والحضارات والهواجس والطبائع البشريّة، التي ليس لتنوعها ولا لاختلافها من حدود..."[2] فيقودنا الاختلاف إلى أنّ الشّخصيّة تحمل في ذاتها أبعادا عديدة ومزايا مختلفة سيكولوجيّة ونفسيّة، وأفكار وأيديولجيات تحاول التّعبير عنها، ومن هنا سنحاول الوقوف على أهم الشّخصيات الرّئيسيّة والثّانويّة والعمل على بيان أيديولوجياتها وثقافتها وهواجسها.

[1] سعد عودة حسن عدوان، الشخصيّة في أعمال أحمد رفيق عوض الروائيّة (دراسة في ضوء المناهج النقديّة)، ص10.

[2] عبد الملك مرتاض، في نظرية الرّوايّة (بحث في تقنيات السّرد)، علم المعرفة، دط، الكويت، شعبان، 1998، ص73.

2ـــ1 ـــ1 الشّخصيات الرّئيسيّة:

اغترفت روايّة سيدي جليس من ذاكرة خصبة لا تنضب، فأعاد تدوير وقائع تاريخيّة بصيغة خطابيّة سرديّة ورمزيّة لاعتبار أنّ الرّوايّه" هي سرد نثريّ يرتكز على وقائع تاريخيّة تنسج حولها كتابات ذات بعد إيهامي معرفي وتنح الروايّة التّاريخيّة غالبا إلى إقامة وضيفة تعليميّة."[1] واستعداء التّاريخ شيء مهم في الرّوايّة "...كي نستفيد من عبرها وعظاتها ونتائجها... لعل بعدئذ نحافظ على ما عندنا حتى لا يشمله الظلام والقتامة."[2] وهو ما حاول ياسين نوار تقديمه من معلومات تراءت على لسان الشّخصيات وعبرت عنها، فعاد بالذّاكرة إلى فترة الاستعمار الفرنسي وما كان يحدث في دهاليز النفوس ونوايا الناس، فعمل بلغته الفريدة على بيان ملامح الشّخصيّة وما يدور داخلها من أيديولوجيات وأفكار تنساق وراءها دون قيد أو تكبيل لهفواتها وتصحيح لأخطائها.

أعطى ياسين نوار لشخصياته رموزا وتشبيهات أراد بها أن يبرز الصّفات المتعلقة بذاتها وأفعالها، وما تكّنه من معالم كالشّجاعة والقوة والبسالة... والمكر والخداع والذلة والمسكنة ليأتي رسم الشّخصيات على النّحو الآتي:" رأيت يا بني فيما يرى النّائم أسدا هسورا ما مثله في دنيا البهائم والسباع من صنوان، عظيما في وحدته بهيا في طلعته، فريدا بين مخلوقات الفلاة قاطبة... غاضبا يهجم، كان يكر على العدا غير هياب ولا متردد،

[1] فتحي إبراهيم، معجم المصطلحات الأدبيّة، المؤسسة العربيّة للناشرين المتحدين، دط، تونس1986، ص103.

[2] حلمي محمد القاعور، الرواية التاريخيّة في أدبنا الحديث، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ط2، دب، 2010، ص06

تماما كما كان يتب أسلافه الأولون من قبله... مرارا كان يكر على ضباع وشيكة السّن من الشّرق البعيد تدعي البأس، من بينها ثعلب ماكر يتوارى أبدا بالحجاب ضال مظل يتلصص من بين أكتاف الرّجال، طورا وطورا يظهر، منافق معلوم النّفاق يحاكي من جهله صولة الأسد..."[1] فالأخير هو رمز صريح لشخصيّة عبد الحميد بن باديس، أما الضّباع فهي إشارة للقوات الفرنسيّة التي بقيت عاجزة أمامه رغم بأسها وقوتها، في دل الثّعلب على القاتل المترَّصد بعبد الحميد بن باديس بفكر عدائي وروح متشوقة لقتله.

فجاءت لفظة أسد للدّلالة على أحقيّة الملك والقوة في مجابهة الخطوب دون خوف أو تردد، أو الضباع التي تقتات على فضلات السّباع والأسود، وتتمتع بالتبعيّة والخوف من أسيادها، هكذا كان الاستعمار الفرنسي مثل الضّباع، أما الثعلب الخائن الذي أدار وجهه لأهله وذويه وأراد أن يمكر بهم، هو القاتل المأجور الذي يريد أن يرضي سيده ونفسه على حساب الوطن والهويّة ماش بأيديولوجيّة ذاتيّة لا تعترف إلا بأهوائها، ومن هنا حاولنا على أهم الشخصيات في روايّة سيدي جليس وبيان ماهيتها وأبعادها الفكريّة والدّلاليّة.

أـــــ شخصيّة ابن باديس:

تميّزت شخصيّة ابن باديس بحسها الثّوري وروحها المقاومة، فقد كان واحدا من بين أهم أعلام الثّورة الجزائريّة الذين ناضلوا من أجل الوطن والحريّة، فقد عمل على بيّان الثقافة الجزائريّة وانتماءاتها الإقليمية والدّينيّة لاعتباره رجلا آمن بعقله وكيانه أنّ هوية الجزائر هي هويته ليقينة " بأنّ ثمة تكافؤا بين الهويّة والذات والأنا."[2] فذاته المقاومة راحت تبيّن أيديولوجيته الدينيّة "فات الأوان أو كاد، لقد خرج بعض المصلين، المتأخرين من

[1] ياسين نوار، سيدي جليس، ص 69 – 70.

[2] محمد مسلم، الهويّة في مواجهة الاندماج عند الجيل المغاربي الثاني بفرنسا، وزارة الثقافة الجزائري، دط، الجزائر، 2009، ص86.

المسجد الأخضر القريب حيث يلقي الكهل المعمم دروس ما بعد صلاة الفجر، والعصر أحيانا."[1] " من هنا كان على ابن باديس أن يبدأ بنشر دعوته في الإصلاح والتّغيير عن طريق المدارس والنوادي ودروس الحضارة الإسلاميّة وتفسير القرآن الكريم والحديث الشّريف التي أخذ يلقيها على طلابه ومريديه في الجامع الكبير وفي الجامع الأخضر في مدينته الأثيرة قسنطينة مسقط رأسه."[2] فابن باديس ابن مدينة قسنطينة، كان إماما ملتزما بتعاليم الإسلام لا يتبع أيّ طريقا آخر ومعلما ناجحا رغم صعوبة المرحلة التي فرضها عليهم الاستعمار الفرنسي، هذا باعتراف أعدائه وخصومه يقول القاتل المأجور: " ألفيته مختلفا، ليست كتلك نبرة الإمام بالقطع، ولا هي نبرة واحدة ممن أعرف، كان هادئا هو أيضا في هذه التارة، واثقا من نفسه لا يكاد يلقي بالا إلى ما قد أشكله من خطر محدق إذ أنا مسلح بخنجر مسموم يفري في اللحم فريا كأنّه الزّباد الطريّ بلا قشر يغلفه ولا عظم..."[3] فتمكنه من اللغة العربيّة وممارسته للتعليم بلسانها حقيقة تاريخيّة لا مفرّ جاءت بها الرّوايّة بإسقاطات سرديّة متميّزة.

ففكره التّحرري وأيديولوجيته المقاومة، لم تدع له مجالا للشّك والخوف مما يدور حوله من مخاطر وعيون تتلصص عليه تنتظر فرصة الفتك به، فهذا دليل على رغبته في خدمة تعاليم دينه وتأكيدا على سعيه النّضالي وقناعاته التّحرريّة، فوقف القاتل المأجور مندهشا أمام شخصه، يراه بعين الرّيبة والشّك، يخاف منه، رغم أنه أعزلا لا يصدح إلا بلسانه " ما معنى هذا.؟... أيكون هذا الشّخص مدعوما من من قبل شياطين عتاة ومردة من بني الجان، يراهم ولا أراهم، يحمون ظهره ويمنعون أيدي البشر أن تطاله، بسحر ما، بتعويذة مبهمة من

[1] ياسين نوار، سيدي جليس، ص44.

[2] – فهمي توفيق محمد مقبل، عبد الحميد ابن باديس رائد الإصلاح والنهضة في تاريخ الجزائر الحديث، مجلة الدّرعيّة، العدد العشرون، مارس 2003، ص239.

[3] – المصدر نفسه، ص79.

التّمائم التي نسمع عن وجودها سماعا ولا نعرف يقينا أيا من حروفها؟.."[1]فعجزه عن مجاراته جعلته يتوهم أنه ساحر أو مشعوذ يستعين بالعالم الورائيات من الجن والعفاريت.

وقد عمد ياسين نوار إلى بيان المرحلة السّنيّة لشخصيّة ابن باديس"...يلقي الكهل المعمم دروس ما بعد صلاة الفجر، والعصر أحيانا."[2] فأشار الرّوائي إلى عمر عبد الحميد ابن باديس بطريقة تقريبيّة (كهل) فهذه الصّفة ترمز لسن يتراوح بين الثلاثينات والأربعينات، وهي مرحلة اكتمال الفكر ونضوجه، في حين قام ببيان معالم مظهره من قصر في القامة، وسواد العينين وقوة جسمانيّة خولت له النّجاة من موت محتم " يا للإهانة وبؤس المصير، يا للمنقصة والإذلال أن أهزم بهذه الطريقة،على يدي هذا القصير الكهل..."[3] وأشار إلى بعض ملامح وجهه " الواقع أنني فكرت في ذلك طيلة الليلة التي لم يغمض لي فيها. جفن قصدت أن أبحر في عمق عينيه السوداوين حينما يحصل ذلك."[4]

وركز السّارد في متنه الرّوائي على المزايا والصّفات الجوهريّة للّرجل (ابن باديس)، فأخذ يؤكد بين الحين والآخر بشهادة أعدائه، أنه أسد في الضّراوة والتّحدي، ملك في مسجده يتغنى بدروسه ومواعظه غير آبه لخطر الضّباع والثّعالب ليقينه التّام أنه صاحب ورسالة يجب أن ترسخ، صامد مثابر مواضع لا يعرف لليّأس طريق" أجل كنت أرى الأسد يطلع دوما في المكان عينه، رأيته يصدر منه مرار وتكرارا كأنّه العرين الحصين، مكان لا أعرفه تماما، ولم تبصره عيني في هذه الحياة من قبل قط."[5] وهذا لمواقفه الرّاسخة وإصراره على محاربة

[1] – ياسين نوار، سيدي جليس، ص31.

[2]– المصدر نفسه، ص44.

[3]– المصدر نفسه، ص39.

[4]– المصدر نفسه، ص24.

[5]– المصدر نفسه، ص70.

السّياسيّة الاستعماريّة لأنّ كان يعايش تلك الفترة عن كثب " هذا في الوقت الذي شنت فيه فرنسا حربا لا هوادة فيها على الثقافة العربيّة الإسلاميّة في طول البلاد وعرضها، حيث بدأت بالعمل على تهديم صروح الثّقافة المزهرة في الجزائر منذ القرنين (11/10ه ، 15/14م) المتمثلة في مدينتي تلمسان وقسنطينة."[1]

وتروي الرّوايّة حقيقة الفكر التّحرري عند ابن باديس وكيف تراءت أيديولوجيته التوعويّة باندماجه مع تيار الوعي في جمعيّة علماء المسلمين فحمل لواء الإصلاح عاليا كطريقة فكريّة تعمل للحفاظ على الهويّة العربيّة الإسلاميّة للجزائر، وكلّه ثقة فيما هو عليه من حال وعمل يقال القاتل المغرر به: " خطواته الآن تبدو واثقة أوثق من كل وقت، متزنة فخورة، ومعتدة بذاتها لظنه أنه قد أدى واجب الإصلاح في الصباح الباكر."[2] وهو ما اقتن به وأتباعه ممن ساروا على نفس النّهج و" يعلل الراسي توجه ابن باديس إلى طريق التّربيّة والتّعليم للإصلاح في الجزائر إلى حالى الطريق المسدود التي وصل إليها الإسلام الجهادي والإسلام السياسي في الجزائر ... فقد برز في كثير من المواقف قائدا سياسيا ملهما للمواطنين الأحرار في الجزائر"[3] وبالتّالي كان مثالا للوطنيّة والوفاء.

راح السّارد يصف ابن باديس مبينا طقوسه الدّينيّة اليّومية، وهو يمارسها لوحده دون خوف" كيف نفذ القصير المعمم بجلده وهو على مثل تلك الهيئة من الضآلة والخور الظاهرة، وقلة الأنصار والصحب، في تلك

[1]- فهمي توفيق محمد مقبل، عبد الحميد ابن باديس رائد الإصلاح والنهضة في تاريخ الجزائر الحديث، مجلة الدرعيّة، العدد العشرون، ذو الحجة1423هـ ، مارس2003، دص.

[2] - ياسين نوار، سيدي جليس، ص15

[3]- المصدر نفسه، ص239ـــــ240.

السّاعة المبكرة من النّهار، كيف ينجو رجل أضناه السّهر وطول التّهجد وقسم ظهره الجلوس متربعا للتدريس وتلاوة القرآن."[1]

ب ـــــ القطب السّابع:

عملت روايّة سيدي جليس على بيان النّزعة الصوفيّة في المجتمع الجزائري، فعملت على شخصيات دينيّة ذات نزعة أيديولوجي صوفيّة، وهو فكر ما أخذ يتنامى ويتعاظم بعد مرحلة وأخرى، وهذا ما جعل كثير من النّاس يتبنونه كطريقة لممارسة عقيدتهم الدينيّة " من القضايا التي عرفت اهتماما كبيرا: أن التصوف بدأ في المغرب الإسلامي تصوفا نظريا، ثم بدأ يتحول في القرن التاسع الهجري، واتجه إلى النّاحية العمليّة الصّرفة وأصبح يطلق عليه تصوف الزّوايا والطّرق الصّوفية وقد ظل هذا التصوف العملي سائدا في جميع أنحاء المغرب العربي حتى بعد سقوط الدّويلات الثلاث ودخول الأتراك العثمانيين."[2] وبقي الأمر مع وجود الاستعمار الفرنسي في الجزائر.

مثّل السّيد قطب شخصيّة دينيّة صوفيّة، متعلمة على قدر من الإطلاع والفكر برهنت على ذلك تلك الكتب الضّخمة الدّالة على نمط وشخصيّة المتصوفة في الحفاظ على منهجهم وطريقة عيشهم ".. أبصرت هناك مجلدات ضخمة بالكاد تتسع لها الخزانة العتيقة المتوارثة من عهد قطب الطريقة الأولى."[3] ورغم الكم المعرفي الذي أبانت عليه إلى أن فكرها الأيديولوجي ظل يساند المحتل في جل أعماله فتعاملت مع الواقع الاجتماعي المعيش للجزائر إبان الاحتلال الفرنسي بصورة استغلاليّة، غيّبت فيها الوطنيّة والروح الجماعيّة وطغت الذاتيّة

[1] – المصدر نفسه، ص125.

[2]– عبد المنعم القاسمي الحسني، أعلام التّصوف في الجزائر، دار الخليل للنشر والتوزيع، ط1، دب، 2005، ص25.

[3] – ياسين نوار، سيدي جليس، 65.

والتروات الدّاخليّة، حيث مثّل الفكر الخائن الذي لم ير في الاستعمار إلا حتميّة لا بد منها، فراح يكن العداء لشخص ابن باديس، فأرسل له رجلا من أتباع طرقهم الصّوفيّة، لينال منه وينهي مسيرة الرّجل التوعويّة " لقد اجتباني القطب السابع في هذا اليوم كما قدمني مرارا من قبل أنا من دون الكل، قال بأنه رأى في عيوني ما لم يره أحد من قبل قط، لقد لمح شهابا قبسا نورا، لألاء يسطع ما له من مثيل.... أذن لي بالدّخول عليه أخيرا، بعد نصف يوم من الانتظار الطويل على باب الحضرة."[1] وهذا باعتراف القاتل المأجور السعيد بالمهمة الموكلة إليه.

وكان القطب السّابع يتميّز بملامح لا تفصح عن جوهر أفعاله، بل تتسم باللين والود وتبعث بالرّاحة والاستقرار النفسيّ فيؤتمن له، ويحبذ النّظر إلى وجهه النّيّر وهذا ما يشير إليه السّارد بقوله: " لم يتبدل فيه شيء يذكر، بالعكس من ذلك إنّه يصغر، كل ما حوله يشيخ ويتقدم في العمر، ليدركه العجز إلا هو، أفاده أيّما فائدة، شرب العسل، وأكل طحال الغزال والأيل. اقتربت أكثر.."[2] وهي من أغلى الأشياء يتناولها الحكام والزعماء لا لعامة النّاس، فهذا يبيّن حالة التّرف التي كان يعيشها.

وبدا ملامح وجهه تبعث بالراحة والاستقرار النّفسيّ "بقيت محصورا أتأمل وجها مدورا كالأقمار، ليالي التّمام لا يحجبها الغيم، ريانا يشعّ صحة وبهاء، من جميع الجوانب، أبصرت نجما يعجب من أي ناحيّة تنظر إليه، ناصعا كالثلج، شذيا نديا، بهيا، بلحية شقراء، عبقريا مشبابة من أطرافها كأنها زبدة الإبل تفصدت بمخذ عن حليب. كانت ثيابه فاقعة بلون أزهر مشبع يسر الناظرين، معطرة ، كأنّما خرجت للتو من مصانع قطن مصر أو الهند."[3] وبيّن ياسين نوار في متن روايته سيدي جليس طبيعة القطب السّابع وحياة الرّفاهيّة التي عبّر

[1]- المصدر نفسه، ص 13

[2] - ياسين نوار، سيدي جليس، 211.

[3]- المصدر نفسه، ص68ـــــ69.

عنها المظهر الخارجي، وهذا دليل على ما هو عليه من سعة في العيش وراحة في العمل، في زمن يعيش فيه أغلب الجزائريين بحال لا يحمد عقباه من جوع وعراء ومرض واضطهاد نفسيّ وجسديّ كل هذا بفعل الاحتلال، أما هو على غرار ذلك بصحة جيّدة وملابس فاخرة، ووجه معبر عن سلامة الجسد من المرض والأتعاب.

واستطاع القطب السّابع أنّ يبيّن ملكته الخطابيّة الرهيبة، وهو بذلك لا يقل شأنا عن ابن باديس، لكن الغرض الخطابي لم يكن موجها لنفس الهدف، فالأول له أتباع من أنصار الصوفيّة يهللون للاستعمار ويرحبون به " وهو يعرب عن آرائه في الحياة والدين بلسان مفصّح يسلب اللّب تتقاطر من جانبيه الحكمة والبلاغة والروعة، حاولت أن أغافله، فأقترب منه، بعض قرب، فأتمسح بثوبه الفخم وأعفر وجهي بطلح برنوسه المعطر مثل تائب منيب فرغ من جريمته النكراء للتّو.دنوت منه أكثر عساه يصيبني الشّرف الأعظم أو أنال فرصة فّألثم نعله الدمشقي المدبب في نهايته كالخنجر."[1] فبظهره ـــــــ القطب السّابع ـــــــ أثار به حفيظة الرجل الواقف في حضرته وأعجب به أيما إعجاب درجة التّبرك.

يبدي المتن الرّوائي ويظهر تلك العلاقة القويّة التي جمعت القطب السّابع، والفرنسيين في حضرته يحتسون القهوى، وكأنّهم زوار يقدمون لهم واجب الضيافة " كان هناك ثلاثة فناجين للقهوة داخل صينيّة النحاس المزيّنة، أحدهما بلا شك فنجان القطب السّابع في ذاته، أما الآخر فهو يعود للضابط الخمسيني الوسيم ذي الشّارب المشذّب المعقوف يغزوه بعض الشيب من أطرافه، بقوام عرفته بعد ذلك ممشوقا يتحدى عارضة الباب العلويّة ورافعات السقف، بطبيعة الحال هو لن يمد يده فيشرب لأنّه لا يثق في أحمد تحت سقف القبة."[2] "

[1]- ياسين نوار، سيدي جليس ، ص73.

[2]- المصدر نفسه، ص75.

يحضى هؤلاء الضباط الفرنسيس بجلسة ودّ حميمة لشرب قهوة على الذّوق، وحتى الجنود منهم والرقباء أحيانا !.."[1]

ج ـــــــ القاتل المزعوم(السارد):

أبانت روايّة سيدي جليس على شخصيّة المجرم أو القاتل المزعوم الذي حمل لواء العدائيّة لشخص أبن باديس، وتوكيل من القطب السّابع، وكله وغبطة وسرور بهذا العمل بل لا تكاد الأرض تسعه للمهمة الموكلة إليه " أتعرف خرجت من المقصورى شخصا آخر، الأحرى لو أقول بأنني قد صرت شخصا بالفعل بعدما كنت من قبل لا شيء، شعرت أنني أحلق في طبقات الجو الغلبة التي لم يحلق فيها أحد قبلي ولن يحلق أحد، أجل أحسست بأنني أرفرف فوق جبال الأطلس ووديانه الأبعد.... لم تكد المعمورة بكاملها تسع فرحتي إذ وقع اختيار القطب عليّ من دون سائر العالمين... لكي أغسل عني دّرن الذنوب الماضيات وأفوض أمري إلى حضرته الجليلة مرّة واحدة وإلى الأبد في هذا العمر.."[2]

وأبدى القاتل المزعوم عدائيّة كبيرة ورغبة ملحة في القتل حتى ولو كان ذلك على حساب نفسه لنجده يقول: " أعاهد ربي أنا الآن، كما كنت دوما، عازم على المضيّ في هذا الأمر حتى النّهايّة، أو أهلك دونه، سأفعل بالإمام المزعوم ما أمرت بفعله لا أنقص منه شيئا، سأتمه خير إتمام فأقضي على الأفعى بفصل رأسها

[1]- المصدر نفسه، ص76

[2]- المصدر نفسه، ص77

الكبير المعمم عن الجذع."[1] فتتراءى لنا ذاك السّعي الحثيث والنّوايا السّيئة بفصل الرّأس عن الجسد، وهو ما يشير إلى الفكر العدائي التي يتحلى به الرّجل.

نرى حالة الشّطح في شخصيّة المجرم، وهي صفة المتصوفة، الذين بالغوا في تصوفهم حتى بلغوا الهوس بالقتل فـــ"التصوف خلق فمن زاد في الخلق زاد في التّصرف"[2] وعدم ثبوته على حالة واحدة، فراح يلاحق الأوهام عبثا، ويرى نفسه بطلا وهو لم يبرح مكانه بعد " أتصورهم منذ الآن يهتفون باسمي ملئ حناجرهم، أراهم يصفقون ويدعون لي بطول الصّحة والعمر أن خلصتهم من المصلح الكذوب، من بلاد الحجر والضّباب، ومن يدري لعل اسمي بندس بجدارة واستحقاق في ضمن الأوراد الكثيرة التي تردد في الصّباح وفي المساء تحت سماء (القبة) فأصير نجما لامعا بعد طول خمول."[3] وتبدي شخصيّة المجرم نرجسيّة لا مثيل لها من حب الذات، والسّعي لأن تكون أحد أذكار المسلمين التي تردد ليلا ونهارا، وكأنّه يسعى بعمله ـــــــ القتل ـــــــ لأن يكون آية من آيات الله بهتانا ووهما.

ويستمر المجرم الخائن ابن فرنسا الودود ـــــــ".. أمنا فرنسا.."[4] ـــــــ حالة الشّطح والضياع الفكري، فهو العبد المأمور المغرر به فكرا وروحا وجسدا، ليكون أداة في يد الاستعمار ليسقط في محاولة قتل ابن باديس مخطط لها بإحكام " الانعزال عن بقيّة العالم، العتم، عنصر المفاجأة، السّلاح الفتاك باليّد، قوة السّاعد وهوان الضّحيّة وغفلتها... كل شيء كان في صالحنا، كل شيء يوحي بنجاح العمليّة بشكل باهر منقطع النّظير،

---

[1]- المصدر نفسه، ص22.

[2]- ابن خلدون أبو زيدون عبد الرحمن بن محمد، شفاء السائل وتهذيب المسائل، تح محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، ط1، دمشق، 1996م، ص94.

[3]- ياسين نوار، سيدي جليس، ص19.

[4]- المصدر نفسه ، ص23.

ولكن ها أنا ذا أولي الأدبار كما يفعل أجبن وأحقر شخص على وجه البسيطة !.."[1] فهذه الثّقة العمياء واستصغار الخصم جعل نفسه في موقف لا يحمد عقباه، أخذ يتوهم عبثا ابن باديس جبارا لا يقهر" مؤمن أنا الآن بأن خصمي قويّ هائل الحجم، مارد جبار كجن سليمان الأكثر شيطنة وإرهابا على الإطلاق."[2]

فإيمان القاتل المزعوم بالجن حد الهوس ينم عن فكر متداع غير مدرك لواقعه تمام الإدراك، من هوسه وخوفه يلجأ للمو" المزاوجة بين الواقعي والعجائبي، وهما عالمان متناقضان، يتميّز أولهما بأنه عالم محدود، ولما كان عالم العجيب والخارق لا وجود له إلا من خلال ما يتصور الإنسان عنه، فإنّ إقحامه في الواقع ليس إلا تعويضا عن الحدود الضّيقة لعالم الواقع، وتجسيدا لرغبة الإنسان في تجاوزه والخروج منه."[3] فراح الرّجل ضحيّة سلطة استعماريّة، وفكر صوفي مغرر به، عايش الوهم إلى أن " حكمت المحكمة بخمس سنوات نافذة غير قابلة للطعن رفعت الجلسة."[4] عندها عرف أن أيديولوجيته ما كانت إلا عقائد وأفكار فاسدة لا تسمن ولا تغني من جوع، لأنّها بنيت على طمس مبادئ الآخر ومبادئه، عرف عندما دخل السّجن أن من أراد قتله سامحه بكل روح وطنيّة في حين أن شركائه وقادته وولاته انقلبوا عليه، أنكروه لأول فشل ـــــــ لم يستطع قتل ابن باديس ـــــــ خمس سنوات إضافيّة للضياع والتيه في سجن عان فيه الويلات.

كان وقع الواقع قويا لدرجة أفاقه من سباته العميق، أزاح به ذاك الرّجل الصّوفي المخلص، وجاء وطنيّ لا يعترف بالطرق ليقتل من كان سببا في خراب بنات أفكاره (السّيّد قطب) لينتقم من تاريخيه وينتصر لأفكاره

---

[1]- المصدر نفسه، ص45.

[2]- المصدر نفسه، ص46.

[3]- محمد رياض وتار، توظيف التّراث في الرواية العربيّة المعاصرة، اتحاد كتاب العرب، دط، دمشق، سوريا، 2002، ص59.

[4] -ياسين نوار، سيدي جليس، ص159.

الخاصة".. لم أمهله ليقول شيئا، طعنته في صدره، ثم أخرجته فخرقته مرتين في نحره، في خصره، فإذا الدماء تفور سوداء، داكنة مثل قلبه الجاحد المعتم.."[1] الآن تخلّص من خصمه الذي جعله يفقد ذاته ويبقى أسير أفعاله.

2ـــ1 ـــ 2 الشّخصيّات الثّانويّة:

قد تظهر الشّخصيات الثّانويّة في الرّوايّة غير مسيطرة، وأن مداها التعاقبيّ يبدوا بسيطا، ولكن في حقيقتها هي من تعمل على تحوير النّص وكشف خبايا وأسراره " فهي التي تضيء الجوانب الخفيّة أو المجهولة للشّخصيّة الرّئيسيّة، أو تكون أمينة سرها فتبيح لها بالأسرار التي يطرق عليها القارئ" [2] علاوة على كون الشّخصيات الثّانويّة تتلاقى مع نظيرتها الرئيسيّ من أجل اكتمال صورة النّص السّردي وبيان هيئته " لا يمكن أن تكون الشّخصيّة المركزيّة في العمل الرّوائي إلا بفضل الشّخصيات الثّانويّة التي ما كان لها أن تكون، وهي أيضا لولا الشّخصيات العديمة الاعتبار، فكما أن الفقراء هم الذين يصنعون مجد الأغنياء فكأن الأمر كذلك ها هنا."[3] فلولا وجود الشّخصيات الثانويّة لما عرفنا قيمة الشخصيّة الرئيسيّة، فالأولى تكمّل الأخيرة، وقد عملت الرّواية على بعض الشّخصيات الثانويّة نذكر منها.

أ ـــــ الضابط الفرنسي: حضرت الذّهنيّة الاستعماريّة في صورة الضّابط الفرنسي المتفحص للآخرين بعين الريبة والشّك " فجأة تنبهت إلى وجود شخص ثالث بالقرب. الحق الذي لن أخفيه عن أي واحد من النّاس،

[1]– ياسين نوار، سيدي جليس، 211.

[2] –عبد القادر أبو شريفة، مدخل إلى تحليل النّص الأدبي،دار الشّرق، ط1، القاهرة، مصر، 1998، ص135.

[3] –عبد الملك مرتاض، في نظريّة الرّوايّة (بحث في تقنيات الكتابة الرّوائيّة)، دار الغرب، ط1، وهران ، الجزائر، دس، ص133.

هو أنني لم أكن لأفعل مثل ذلك لو أنني شككت لحظة واحدة بوجود الضابط بالزّي الرّسمي، خلف ظهري يحصي عليّ أنفاسي من طرف خفيّ ويقيس أفعالي كلّها وأقوالي. أجل، أظنه برتبة رائد في سلك البوليس يجلس في مكان بعيد متواريا تماما عن زاوية نظري لهذا السبب فإنني لم أنتبه حين دخلت."[1] فالضابط يتمتع بحذر كبيرة، أضفت عليه ملابسه العسكرية طابعا خاصا وهيبة لدى اتباعه، كيف وهو يمثل الجيش الفرنسي ـــــ (الشرطة العسكريّ) ـــــ بجرائمه وممارساته اللاإنسانيّة في حق الجزائريين، قابع في مكانه وكلّه ثقة بهويته وانتماءاته لأنّه يملك السلطة والقوة معا.

وراح السّارد يبيّن لنا معالم الرّجل وتفاصيل لباسه المعبر عن مهنته ووظيفته" وقد اعترتني المفاجأة الشديدة لرؤيته بادئ الأمر، إذ لم أتوقع وجود أحد في المقصورى فضلا على أن يكون واحدا من ضباط الفرنسيس وخاصتهم، هنالك رأيت تلك البزة السّخيفة الضيّقة والقبعة الطويلة مطرزة بخيوط الحرير وسوط الحصان موضوعين على طاولة صغيرة، بجانبه غير بعيد، بقرب صينيّة القهوة والحلويات التي لا أظن صنعتها غير واحدة من المريدات."[2] فالضابط الفرنسيّ في مقام ـــــ القبة ـــــــ لا يمد فكريا وعقائديا ـــــ من الناحيّة الدينيّة ـــــــ بأي صلة للفرنسيين، فوجوده هناك بملابسه العسكريّة الخاصة وجواده، دليل على سطوة الاحتلال ونفوذه الكبير في القبة، وما الضابط إلا واحدا من كل تناوبوا على المجيء عندهم من الجيش الفرنسي (ضباطا وجنودا...) من مختلف الأسلاك لتبادل المعلومات وطرح القضايا الخاصة والعامة ويتآمرون ضد الشعب الجزائري.

[1]- ياسين نوار، سيدي جليس، ص 74.

[2] ياسين نوار، سيدي جليس، ص75.

ويشير المتن الروائي إلى فخامة المكان بالنسبة لزمانه، وطريقة جلوس الضّابط الفرنسي، مبيّنا سلوكه الاستفزازي واحتقاره لمن حوله، فلغة الجسد أفصحت عن طبعه العدائي ونرجسية أفعاله ليبدو كمن يقول أنا ربكم الأعلى، أحيي وأميت..".. تذكرت أنني عند دخولي لمحت حصانا مسرجا يمسكه من لجامه فتيان..

من خلال جلسته واضعا رجلا على أخرى، كفرعون وأخذه كل راحته فوق الأريكة الوتيرة كثيرة الوسائد، وقد أفرشت سجادة فارسيّة عتيقة أسفل حذائه ذي العنق إلى حدود الرّكب، عرفت أنه لابد يزور هذا المكان كثيرا من وقت لوقت وأنه على الأغلب يعتبر نفسه في بيته في بلده !."[1] فتفاصيل المكان وما يحتويه من حيثيات يبرز قابلية المستضيف للضيف، والترحيب به كيانا ووجودا، " يحضى هؤلاء الضباط الفرنسيس بجلسة ود حميمة لشرب قهوة على الذّوق، وحتى الجنود منهم والرقباء أحيانا !... من غير شك أنّ سيدي يقبل بالدّنيّة في دينه ودنياه من أجل إن يبعد عنا السوء والفحشاء والمنكر يصيبنا جزاء غضبة من هؤلاء السادة..."[2] فيحاول السّيد قط إرضاءه بشتى الطرق.

وأبانت رواية سيدي جليس ملامح الضابط التي تظهر غير ما تبدي، بفكر استعماريّ ومشاعر استغلاليّة، ووجه إنسانيّ معبر إنّه " ... للضابط الخمسيني الوسيم ذي الشّارب المشذّب المعقوف يغزوه بعض الشيب من أطرافه، بقوام عرفته بعد ذلك ممشوقا يتحدى عارضة الباب العلويّة ورافعات السقف، بطبيعة الحال هو لن يمد يده فيشرب لأنّه لا يثق في أحد تحت سقف القبة."[3]

2ـــــ2 المشكّلات الزّمانيّة:

[1] ياسين نوار، سيدي جليس، ص74 -75.

[2] المصدر نفسه، ص75.

[3] المصدر نفسه، ص76.

يعتبر الزّمن عنصرا فعالا في عمليّة السّرد، ويمده بالحيويّة والنّشاط" أن الزّمن هو محور الحياة وعمودها الفقري الذي يشد أجزاءها ونسيجها، الرّوايّة فن الحياة، فالأدب مثل الموسيقى فن زماني، لأنّ الزّمان هو وسيط الرّوايّة كما هو وسيط الحياة."[1] فالزّمن يجمع بين أطراف الخطاب السّردي وعناصره بطريقة مميّزة. إذ له القدرة على تحديد مسار الحكي من درجة الصّفر إلى زمن يسبقه ويتعداه، مستندا على الاستشراف والعودة إلى الوراء، أو يسير بتقنيتي إبطاء وتسريع السرّد وفي كل هذا يتبع نظاما معيّنا، سنحاول الوقوف على تشكّلاته وأبرز تمظهراته في رواية سيدي جليس لياسين نوار.

2ـــــ2 ـــــ1 المفارقات الزّمنيّة وإبطاء السّرد:

تمثل المفارقات الزّمنيّة صورة مترنحة بين الماضي والمستقبل يتوسطه حاضر السّرد وهي" التي تكون على نوعين أساسيين هما استباق واسترجاع حيث أنّ المفارقة الزّمنيّة، هو مصطلح عام للدّلالة على أشكال التّنافر بين التّرتيبين (التّرتيب الزّمني للقصة والتّرتيب الزّمني للحكايّة)."[2] ويمكن أن نميّز بين نوعين من المفارقات السّردية (الاسترجاع، والاستباق)، ويعرف الاسترجاع على أنّه" مخالفة لسير السّرد تقوم على عودة الرّاوي إلى حدث سابق، وهو عكس الاستباق، وهذه المخالفة لخط الزّمن تولد داخل الرّوايّة نوعا من الحكايّة الثّانويّة."[3] وتكون هذه الاسترجاعات عبارة عن صورة تعيد ما هو موجود في الذاكرة، وإحياءه بطريقة فنيّة مدروسة، في حين يطلق على الاستباق الاستشراف فهو" قفز على فترة معيّنة من زمن القصة وتجاوز النّقطة

[1] مها حسن القصراوي، الزّمن في الرّوايّة العربيّة المعاصرة، دار فارس للنّشر والتّوزيع، ط1، 2004، ص23.

[2]– جيرار جينيت، خطاب الحكايّة (البحث في المنهج)، تر محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي وعمر الحلى، المجلس الأعلى للثّقافة، سوريا، 1997، ص 51.

[3]– لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرّوايّة، دار النّهار للنّشر، ط1ـــ بيروت، لبنان، 2002، ص 100.

التي قضاها الخطاب لاستشراف مستقبل الأحداث والتّطلع إلى ما قد يحصل من مستجدات الرّوايّة."[1] وهو عبارة عن رسالة استشرافيّة تقودنا نحو المستقبل وتكسر أفق توقع القارئ، وقد حضرت بقوة في رواية سيدي جليس لياسين نوار، سنعمل على استخراج بعض النّماذج وشرحها يقول السّارد:

"... أسررت على أخباره بالحقيقة يتفاقم هياجه أكثر من السّابق أو يزداد انفعاله، ضراوة فيأمر تابعه الحقير بمواصلة التعزير، بشكل أعنف. بعد دفعة أخرى، أو دفعتين استلم صوطا جديدا من سابعه العملاق وفخذ يجلدني بنفسه غير مفرق في هذه المرة بين فخض ظاهر وذراع محزوز من أثر العذاب أو وجه..

... خذ أيها الحلوف.. هاك.. خذ... إنه لولا مخافة التّبعات لأمرتهم بانتزاع أحشائك فورا ورميها للكلاب."[2]

وتتجلى عملية الاستشراف في قوله: (لولا مخافة التّبعات لأمرتهم بترع أحشائك..) فالجلاد يستبق الأحداث ليظهر بفكر دكتاتوري، يحاول أن يفتك بالرّجل الأعزل الضعيف، ويبيّن نواياه الوحشيّة ورغبته الملحة في الإساءة إلى الآخر بكل الطرق، ونجد الاستشراف طاغيا بصورة كبيرة لا تقارن بالاسترجاع الذي بدا فاترا ولا طاغيا يقول السّارد في الاستباق قائلا:

" إن سيدي القطب الأشرف يؤكد أنني كلما أوغلت في التّعاسة بسبب حرماني من المتع والملذات، زاد حظي في المقابل بالتّرقي، في درجات الجنان يوم القيام، إنّ هذا لهو أول تعاليم (الطريق) المضيّء، وشعاراته التي بها نتغنى ."[3]

[1]- حسن بحراوي، بنيّة الشّكل الرّوائي، المركز الثّقافي العربي، ط1، بيروت، 1990، ص132.

[2]- ياسين نوار، سيدي جليس، 126.

[3]- المصدر نفسه، ص66.

يبدو الاستباق في هذا القول بعيد المدى، متجاوزا سنين وأعوام من حياة البشريّة جمعاء، فالمنطق الصّوفي يريد إقناع أتباعه بضرورة التيه والضياع في التعاسة، كي يكون لهم أعلى المراتب في الجنان، وهو بذلك يتجاوز حاضر الشّخصيّة، ليعطي لها يقينيات صوفيّة وهميّة تزج بهم في عالم التّراجيديا للوصول إلى الفردوس الأعلى، ليكشف الزمن ماهية الأيديولوجيا التي يسير بها أنصار المنهج الصّوفي الديني ويحاولون ترسيخة، بتجاوز حاضرهم والعيش بوهم المستقبل، وهذا ما لاحظناه في شخصية القاتل المغرر به بقوله:

" سوف أحطّم هذا البناء العالي، على الماء، هذا السّراب المخادع، هذا الهباء، سوف أهشمه ألف قطعة، ثم أذروه في وجه الريح، تماما كما حطم إبراهيم أصنام قومه ذات يوم."[1]

وقوله أيضا:

" أحيانا أفكر، هل تراهم عرفوا ما أضمر؟.. هل حدسوا بفراسة فيهم ما يعتمل في قلبي من سنين، ووافق ذلك هوى، في صدورهم؟ هل ظهرت أمرات الانتقام في وجهي؟ هل زل لساني؟.."[2]

فالشخصيّة تعيش دائما مستشرفة على حاضرها(من خلال النّص والنماذج المختارة) باحثة في غياهب نفسها عن تكهنات وخبايا وطرق وممارسات ستقوم بها أو تصرفات تنعكس عليها سلبا أو إيجابا، فالرّجل لا يعيش في زمانه كما لا ينبغي، قليل الرجوع إلى ماضيه كثير التّطلع إلى مستقبلة.

وجاءت التّشكلات الزّمنيّة في صورة الوقفة الوصفيّة التي عملت كثيرا على إبطاء السّرد، وبيان معالم الأشياء وحيثياتها، ففي كل لحظة نرى السّارد تائها في وصف مكانا أو شخصيّة بعينها كقوله:

[1]- المصدر نفسه، ص12.

[2]- المصدر نفسه، ص206

" الظلمة شديدة الحلكة والمكان من حولي في هذا الدرج محسور لا يكاد يسمح بمرور شخص آخر. أحس في هذه اللّحظات كأنني أتربص في حصار، كأن من بناه يحرص على مرور شخص واحد يتيم، في كل غدّوة، أو روحة، لهدف غامض لا يعلمه إلا هو." [1]

" على حين غرة تناهى لسمعي قرع نعله، عرفته من ذلك المسمار الناتئ. في الفردة اليمنى. بالأمس رأيته وهو يتجه إلى الإسكافي عند زاوية جامع (الكبير) لإصلاح ما أفسده الدهر، أعطاه فردة الحذاء المفتق وظل ينتظر حافيا قرابة ربع ساعة، يضع رجله على حصيرة حقيرة من تلك التي نضدها رجل المسامير لهذا الغرض."[2]

وقوله أيضا:

" إنه ذات الحذاء الجلدي الأسود بالعقب المدبب، (الزرياطي)، النعل المفضل عند فئة الوجهاء والكرام في مدينة الصّخر، كل هذا العناء يتكبدونه لأجل صرير يحدثه عند ملامسة الأرض، فيعلم لابسه قبل وصوله، فيحضر الطلاب أنفسهم للدرس... وتختمر النساء ويحتجبن عني العيون إذا كان دخوله إلى الدّار !."[3]

و قوله أيضا:

" في خلال سماعي لذلك القرع المتصل الناجم عن حذائه التقليدي، وعصاه الرقيقة معدومة الخطر."[4]

---

[1]- ياسين نوار، سيدي جليس، ص09.

[2]- ياسين نوار، سيدي جليس، ص14.

[3]- المصدر نفسه، ص14 - 15.

[4] -المصدر نفسه، ص16.

يتجلى لنا من خلال هذه الأمثلة المختارة المدى الذي بلغه الزمن والمكان الذي شغله السّارد واصفا الحذاء ومبيّنا معالمه التقليديّة وطبيعته ولونه... فهو بهذا الأسلوب كسر سير الأحداث، وحد من تواترها بطريقة فنيّة جماليّة، يراعى فيها النّظام السّردي ومداه الزّمني.

2ـــ2 ـــ1 المكان وأبعاده الدّلاليّة:

يعتبر الفضاء المكانيّ عنصرا مهما في بناء الرّوايّة، فهو من يعطي للأخيرة هويتها ويبرز ملامحها، وله القدرة على رسم أيديولوجيات وهدم أخرى، نظرا لأثر الجغرافيا في رسم ملامح المرء وتصرفاته، وفي هذا الشّـــأن أشار الحمداني أنّ الأماكن تختلف باختلاف نمط الحكي" ثم إن تغيير الأحداث وتطورها يفترض تعدديّة الأمكنة واتساعها وتقلصها، حسب موضوع الرّواية... بل صورة المكان الواحد تتنوع حسب زاوية النّظر الذي يلتقط منها... وحتى الرّوايات التي تحصر أحداثها في مكان واحد نراها تخلق أبعادا مكانيّة في أذهان الأبطال أنفسهم، وهذه الأمكنة الذهنيّة ينبغي أن تؤخذ هي أيضا بعين الاعتبار."[1] فاختلاف الأماكن في الرواية حتميّة لا بد منها، مهما حاول الرّوائي تجاوزها، ونجد نوار قد قام بذكر العديد من الأماكن على اختلافها " إنّ عشرات من النّاس موزعون كالدّبابير الجوعانة، في كل ركن من الأركان، يبلغون عمّا ما يحدث أولا بأول، في المساجد والساحات، في الأسواق العامة والدّكاكين والإدارات، في المصانع والشّركات، حتى في قعر البيوت مغلقة الأبواب والحمامات ومطابخ النّسوة والحاصل أن جميع هؤلاء الذين ينقلون الأخبار مدرجون في جدول الرّواتب."[2] ومن هنا سنحاول تصنيفها إلى نوعين الأماكن المفتوحة والأماكن المغلقة.

2ـــ 2 ـــ1 ـــ1 الأماكن المفتوحة الواسعة:

[1]– حميد الحمداني، بنيّة النص السّردي (من منظور النّقد الأدبي)، المركز الثقافي للدراسات والنّشر والتوزيع، ط1، بيروت، آب 1991، ص63.

[2] – ياسين نوار، سيدي جليس، ص108.

تتميّز الأماكن المفتوحة باتساعها وإمكانيّة تنقل الشّخصيّة بينها وممارسة حياتها الاجتماعية وطقوسها اليّوميّة ضمن حدودها وقوالبها، فهي تعطي هامشا مهما من الحريّة تعبر فيها الشّخوص عن حياتها، وبه يعتبر المكان عنصرا مهما في الخطاب السّردي لاكتمال صورة المتن، وقد اعتمد ياسين نوار على أمكنة مختلفة، وإن كانت المغلقة منها الأكثر حضورا نظرا لمحدوديّة الطرح وخصوصيّته التاريخيّة بشخصيته المحوريّة وبهذا سنحاول الوقوف على مجموعة من الأماكن المفتوحة التي كان لها جل الأثر في الرّواية.

أ ـــــــ **قسنطينة:** اعتبرت قسنطينة هي مركز الحكي في روايّة سيدي جليس، لما لها من حمولة تاريخيّة وزخم حضاريّ ضارب في الأصالة والقدم، متميّزة بطريقة بنائها وجسورها المعلقة على صخور عاتيّة، فكانت هناك صلة كبيرة بسكانها وقاطنيها واستطاعت بيئتها أن تبلور الفكر الأيديولوجي لدى سكانها وقاطنيها، فكانت لها أن تلقي بآثارها على أهل المنطقة وقاطنيها يقول السّارد واصفا ذات التّأثير والتّأثر بينهما (المدينة والشخصيات) "لا أرتاب لحظة واحدة بأن أهل الحجر هؤلاء قد تعلّموا القسوة وغلاضة القلب من روح مدينتهم، إن عبدا يولد ليعيش في سجن من رخام، وحجارة لا بد يصدأ فؤاده عاجلا أم آجلا، لا محالة تتبيّس جوارحه بعد وقت لكي تصير صخورا تامة الخلق، مركومة يتراكب بعضها فوق بعض، لا غرابة في أنهم تخشبوا الرّؤوس مغلّقوا الأفماه على الآخر، وإلا ما تكبدت أمنا (فرنسا) كل ذلك العناء من أجل الدّخول إلى مدينتهم ذات يوم."[1] فيبيّن لنا الراوي أن طبيعة بصخورها وحجارتها بهيئتها عكست ماهيتها على سكانها، وغيرت كثيرا من الذّهنيات والأيديولوجيات وجعلتهم أكثر صبرا وإصرارا على مجابهة الحياة، كصبر الصّخور على التّغيرات الطبيعيّة بين فصل وآخر.

[1]– ياسين نوار، سيدي جليس، ص23.

ويصّف السّارد جو مدينة قسنطينة قائلا: " إن البرد في هذه المدينة شديد عاتي لا يقاوم، بأي نوع من الدتار واللّبس، أما الحجارة المرصوفة ببراعة على طول الشّوارع والأزقة الضيّقة، فهي مما يقوي الشعور بالرهبة ويغرق الأمكنة جميعا في ظلمة غريبة، وبلهنية لهما كمفعول السحر، كذاك تفعل الحيطان العاليات على الجانبين كأسوار تهدد كل غريب عن المنطقة بأنّه لا بد يقع قريبا جدا في براتن الصّداع المهلك والوهم."[1] فطبيعة المنطقة وما تتميّز به من معالم بارزة، جعلت الشّخوص تهيم في تفاصيلها، إنّها (قسنطينة) تحمل ملامح أهلها من صبر وإصرار أو العكس هي من طبعت جوها على وجوههم، فصارت تتحكم في أيديولوجياتهم وأفكارهم، علمتهم كيف يخيفون العدو ويرهبون كيانه، كرهبة القاتل المزعوم عند دخوله إليها (قسنطينة) مهد الثّورة.

وتشير متن الرّوايّة إلى أهم الأماكن الموجودة في مدينة قسنطينة العريقة" أربع ليال كاملة وتحركنا في أرجاء المدينة العميقة على راحتنا، لا يضايقنا بوليس ولا عسكر، سيدي راشد،سيدي مسيد، رحبة جمال، سويقة، القصبة العتيقة، سان جون، جنان الزيتون."[2] وهي أماكن تعبر عن الهويّة القسنطينية المتنوعة بثقافتها وأصول سكانها وطبيعتها... متنوعة في كل شيء حتى بأماكنها.

ب ـــــ المدينة: تعتبر المدينة رمزا من رموز التحضر والمدنيّة، فهي تحتوي مكامن السّعادة كونها تحمل جل متطلبات الحياة، وهذا بالفعل ما وفرته لأفراد ورعايا الاحتلال الفرنسي في الجزائر وذلك ما ورد في رواية سيدي جليس لياسين نوار قائلا:" بينما يزدهر أبناء (فرنسا) الغالية وينتعشون في المدائن ـــــــ يتوسعون في الرّياض والأحواض والعمران ـــــــ ينتكس هؤلاء التعساء ويتراجعون أحقابا إلى الخلف، إلا (القبة) أراها فوق التّل البعيد هناك ناصعة، بيضاء تتلألأ وسط السّحاب مثل عروس الزيبان توشك أن تزف إلى الحبيب !."[3]

---

[1]- المصدر نفسه، ص09.

[2]- المصدر نفسه، ص109.

[3] - ياسين نوار، سيدي جليس، ص207.

فهي قد قدمت لهم كلّ معالم التّقدم والازدهار ليبقوا على أرضها ويرسو حضارتهم عليها، فكثير من البلدان منذ القديم اشتهروا بمدنهم وطريقة تشييدهم لها، ولزالت معبّرة في كظل تفاصيلها فـــ"هي مهد الحضارة ورمز تقدم الأمة واستقرارها، والبيئة التي تنمو فيها الثقافات، وتزدهر في حدائقها العلوم والفنون، وهي صورة الأمة، نقرأ فيها أخلاق أهلها ومثلها وقيمتها، وعلى هذا فحضارات الدول هي حضارات مدن في الغالب، والتاريخ منذ القدم مازال يكتب في المدن... فهي تلاقي قويّ لأنّها تجمع بشر، وهي ظاهرة إنسانيّة حضريّة عامة ترتبط بالتّحضر."[1] وبالتالي أراد الاستعمار الفرنسي أن يعطي لمدن الجزائر ومنها مدينة قسنطينة هويّة فرنسيّة وحضارة بأيديولوجياتها ومبادئها الغربيّة.

2ـــ 2 ـــ1 ـــ1 الأماكن الضّيقة:

تمتاز الأماكن المغلقة بمحدودية المساحة وحيّز معلوم، تكون الشخصيّة مقيّدة بخصوصيّة البعد المكاني، لما له من تأثير كبير على ذاتها وسير الأحداث على مستوى الروايّة ككل، فالفضاءات المغلقة تحمل سمات جوهريّة وخصوصيّة كبيرة" إنّ الحديث عن الأمكنة المغلقة هو حديث عن المكان الذي حددت مساحته ومكوناته، كغرف البيوت، والقصور، فهو المأوى الاختيار والضّرورة الاجتماعيّة، أو كأسيجة السّجون، فهو المكان الإجباري المؤقت، فقد تكشف الأمكنة المغلقة عن الألفة والأمان، أو قد تكون مصدرا للخوف. والمكان المغلق هو مكان العيش والسّكن الذي يؤوي الإنسان، ويبقى فيه فترات طويلة من الزّمن سواء بإرادته أو بإرادة من

[1] –زهير محمود عبيدات، صورة المدينة في الشعر العربي الحديث، دار الكندي، دط، الأردن، 2007، ص13.

الآخرين."[1] وقد استعان الرّوائي ياسين نوار لبناء مضمونه السّردي وتسيير نظامه الخطابي بالعديد من الأماكن المغلقة نذكر منها:

أ ـــــ **القبة:** تعتبر القبة مكانا خاصا ضيّقا له طابعا عقائديا يحكم فيه أناس متدينين ظاهريا، فهي تعبر في كيانها ووجودها عن فكر أيدويولوجي ديني، ارتبطت لسنين وأعوام بالمنطق الصوفي الذي راح يبني القبب على شيوخه ويقيم حولهم دور العبادة، وهو الفكر الذي ظل سائدا في الجزائر أبانت عنه هذه القبب المتناثرة في كل صوب "عرفت الجزائر ـــــــ وعلى غرار جميع الدّول العربيّة والإسلاميّة انتشارا واسعا للزّوايا والطرق الصّوفيّة، حيث كثرت في الأرياف والقرى، ومنذ العهد التّركي الأضرحة والقباب والزّوايا."[2] وبالتّالي فالقبة رمز التّصوف، ومكانا يحمل العديد من الأفكار في ذاته.

وتناول ياسين نوار مكان القبة في روايته للدّلالة على ما يحتويه المكان من ممارسات دينيّة بأفكار صوفيّة وأخرى دنيويّة تعمل على الاختفاء بالمكان من أجل مصالحهم الخاصة، محاولين رسم قوانين داخليّة تضليليّة لرش الرماد في العيون عن أعمالهم " إنّ قوانين القبة وأهدافها العليا، هي نفسها قوانينهم وأهدافهم أو على الأقل تخدم قوانينهم وأهدافهم بطريقة ما من الطرق، تفيدهم على نحو من الأنحاء..."[3] ومن خلال هذا القول يتبيّن لنا أهميّة المكان وأبعاده الدّلاليّة، حيث رسمت فيه شؤون أمة مغرر بها وأشخاص آمنوا بفكرها وأيديولوجيتها ينظرون إليها بعين المتأمل العاشق الولهان يقول السّارد: "..(القبة) أراها فوق التّل البعيد هناك ناصعة، بيضاء تتلألأ فوق

[1] مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثيّة حنا مينا (حكاية بحار ـــــ الدقل ـــــ المرفأ البعيد)، منشورات الهيئة العامة السّورية للكتاب، دط، دمشق، سوريا، 2011، ص43.

[2] الطّيب العماري، الزوايا والطّرق الصوفيّة بالجزائر (التحول من الدّيني إلى الدّنيوي ومن القدسي إلى السّياسي) ـــــ دراسة أنثروبلوجيّة ـــ مجلة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، العدد 15، بسكرة، جوان 2014، ص124.

[3]- ياسين نوار، سيدي جليس، ص54

السحاب مثل عروس الزبان توشك أن تزف إلى الحبيب."[1] فكان وجود القبة في المجتمع الجزائري حتميّة يقينيّة ظلت تسيطر على عقول النّاس سنينا طويلة، يرونها بعين المحب والمتأمل والملهم لذواتهم وعقولهم.

ب ـــــــ السّجن: يعتبر السّجن من الأماكن المغلقة الخاصة، لخصوصيته ومحدوديته، فهو خاص بالمساجين الذين يتلقون عقابهم فيه فهو" مؤسسة عقابيّة تهدف إلى ردع المذنب عن عمله وإنزال العقوبة وحجزه بغية تأديبه."[2] كما حدث مع المجرم الذي فشل في مهمته ـــــــ قتل ابن باديس ـــــــ زج به في السّجن كجزاء لفشله

"ـــــــ شيخ مبارك، أرجوك أعرني سمعك لحظة.. أنظر، لو أننا نسلمه إلى الإدارة، فإننا لا نضمن شيئا فيما بعد، وقد يفلت هذا الخّسيس .. لفترة قصيرة ذرا للرّماد في العيون لا أكثر من ذلك، وقد لا يدخل السّجن من الأساس، إنّه بلا شك بيدق من بيادقهم، كلب شارد، من كلابهم أطلقوه علينا وأنت في الأول والآخر أدرى بألاعيب القضاة والمحامين الفرنسيس."[3] وقد اشتهرت الجزائر بالسّجون في زمن الاستعمار الفرنسي لترهيب الناس وحثهم على العدول عن المقاومة، ولكن في رواية سيدي جليس بدا أكثر تمظهرا ولكنه عبّر عن صيغة وأيديولوجيا استعماريّة لم تتغيّر إلى آخر لحظة من مغادرتها للجزائر.

وجاء متن الرّواية ليعطي لنا اسم السّجن الذي قد يزج به الشاب الجزائري الفاشل في كسب الولاء من أمه فرنسا" كما قد يحول إلى سجن آخر غير (الكديّة) القريب، ولن نعلم خبرا عنه بعدها."[4] ورغم أنّ السّجن محدود في امتداده وجغرافيته إلا أنّه احتوى أماكن أخرى في ظله أكثر ضيقا وخصوصيّة يا" للغرابة ومزيد العجب،

---

[1] – المصدر نفسه، ص206ـــ207

[2]– سالم المعوش، شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر، دار النهضة العربيّة، ط1، بيروت، لبنان، 2003، ص38.

[3]– المصدر نفسه، ص98.

[4]– ياسين نوار، سيدي جليس، ص 98.

فإنّ ضابط البوليس المناوب أمر أحد أعوانه الأشداء باصطحابي إلى (الجحر) في الأسفل".[1] و" مشيت بخطوات متعثّرة أرثل في القيد الثّقيل الذي ألصقوه برجلي حين توقفوا. توقفت فوجدت غرفة جانبيّة واسعة بحوائط كثيرة متسخة. رأيت أول ما رأيت في المنتصف تماما كراسي حديد مهترئة ولكنها صلبة غرزت في الأرض وثبتت جيدا بالاسمنت، بطريقة لم تراع جمالا ولا اكترثت لنظام ولا حتى حرمة لكرامة ابن آدم في الزّاوية البعيدة برميل مملوء بالماء العطن، وأسلاك تتصل بمولد كهرباء قذف في قلبي الرّعب."[2] ليتبيّن لنا من خلال هذه التجربة التي عرفها السّارد طبيعة السّجن زمن الاستعمار، وكيف كان مرعبا في جل تفاصيله، بوسائل التّعذيب الخاصة والفريدة التي كانت تريد أن تقتل كل حس ثوريّ في روح الشّعب الجزائريّ.

ج ـــــــ مقصورة السّيد قطب: تعتبر المقصورة مكانا مغلقا وضيقا مخصصا للإمام في زاويّة من زوايا المسجد، وله دلالة تعبديّة دينيّة تحمل في ذاتها معالم الالتزام والفكر المتزن، ففي ظله ترتسم الدروس وتخط الخطب، ويصف السّارد في رواية سيدي جليس المقصورة قائلا:" حينما أكرمني الدّخول إلى المقصورة أخيرا... أبصرت شموعا كثيرة يتألق سنا نورها بين يديه وأواني من فضة وأباريق خزف صينيّ، ما رأيت نظير لها في أي مكان، بخور ثقيل أنشأ يرسل من الموقد خيوطا عديدة ممتدة طفقت تكسرني بلذة، تدغدغ شوقي وتحرك أشجانا..."[3] ويتمظهر لنا ماهيّة المكان الذي يقوم به السّيد قطب وكيف اكتسى صفة الرّفاهية، وأبان عن وجه غير مألوف في كثير من مقصورات الأئمة في الجزائر.

وبهذا يمكن القول أنّ روايّة سيدي جليس زاخرة بمعالمها الأيديولوجيّة، سواء كانت دينيّة أم سياسيّة، عبرت عنها الأحداث أو الشّخصيات، فبرزت العقائد الفكريّة المختلفة توافقت حينا أو تقاطعت أحيانا أخرى،

[1] –المصدر نفسه، ص112.

[2]– ياسين نوار، سيدي جليس، ص21– 22.

[3]– المصدر نفسه، ص65.

تجلت في أقوالهم أو أفعالهم، وأفعالهم، وممارساتهم فكان أقطاب الصّراع بين ابن باديس و شخصيّة السّارد العليم الذي راح يبيّن منهج الصّوفيّة وطرقيتهم في التعامل مع الدّين الإسلامي.

خاتمة

ختاما وبعد رحلة علميّة أكاديميّة مشوقة في غياهب روايّة سيدي جليس ـــــ للمبدع ياسين نوار ـــــ المتنوعة بمتنها وطبيعة أحداثها التّاريخيّة علاوة على مسالكها الأدبيّة وأبعادها الأيديولوجيّة، ها نحن اليوم والحمد لله نفق على آخر ما ينص عليه منهج البحث العلمي، لأرسم خاتمة لموضوعي الموسوم بـــــ **"الأيديولوجيا والسّياسة في روايّة سيدي جليس لياسين نوار(ـــــ دراسة نقديّة ـــــ)"** الذي توجته بحوصلة من النّتائج المهمة سأذكرها فيما يلي:

ـــــ أرجعت الأيديولوجيا إلى إرهاصاتها الأولى ومكامن مقاصدها، وكيف لها أن تنهل من الأدلوجة والتّاريخ وأرست قوامها الفكري، فأشارت في معناها العام إلى علم الأفكار وكل ما تعلق بالذّهنيات والخلفيات الفكريّة وطرق التّفكير.

ـــــ تضم الأيديولوجيا في طياتها أنواع عديدة (السّياسية والدينيّة..) وأفكار مختلفة ومتبددة، فلكل من هذه الأنواع مزايا وأبعاد ترجع تارة للذّات وتارة أخرى للمجتمع وقضاياه .

ـــــ تعاملت الرّواية مع الايدولوجيا كمكون رئيسي لنصها السّردي، فأعطت له صفة الجماليّة والأدبيّة، وبدلت ملامحه الواقعية بما يخدم مجريات الأحداث التّخييليّة.

ـــــ تعتبر الأيديولوجيا جزء من كل (الرواية) فالأخيرة تغترف من الأولى دون أن تطمس ملامحها السّردية، ولا يمكن أن تكون الرّوايّة هي الأيديولوجيا.

ـــــ شكلت الصراعات الأيديولوجية سمة غلبت على معظم الروايات غربية وعربية، وما تناول ياسين نوار في روايته سيدي جليس أنموذجا صريحا يقودنا إلى الخلفيات الفكريّة والعقائديّة الموجودة في المجتمع الجزائري في ظل الاستعمار الفرنسي، مبينا أثر الأخير في الأول ومحاولاته في طمس هويته وانتماءاته.

ـــــــ سعت الرّوايّة الجزائريّة المكتوبة باللّغة العربيّة أو بالفرنسيّة لتعبر عن مكامن الصّراع الأيديولوجي إبان الاستعمار الفرنسي للجزائر والعمل على بيان أبعادها الأيديولوجيّة والسياسيّة، وهذا ما أفرزته رواية سيدي جليس لياسين نوار.

ـــــ عملت رواية سيدي جليس على بيان الخلفيّة الأيديولوجيّة للدّين الإسلامي، وكيف ابتدع النّاس طرقا وطقوس لا تتوافق والسّنن النّبويّة، فحضرت الصّوفيّة بمعالمها الطرقيّة في المتن ليبيّن المبدع الصّيغة معاملاتهم وأحوالهم إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر.

ـــــــ أبانت شخصيّة ابن باديس في روايّة سيدي جليس على ثقافة دينيّة كبيرة، ووعيّ سياسيّ مكنته ليكون رائد الثّورة الفكريّة في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي.

ـــــــــ تميّزت شخصيّة السّارد بروحها المتّصوفة، ومعتقداتها الخاصة وولاءها الكبير لفرنسا، فسعت جاهدة لإثبات وجودها، فمثّل شخصيّة الخائن.

ـــــــ أبانت روايّة سيدي جليس على عدّة تناصات دينيّة واستدلالات لفظيّة من القرآن الكريم.

ـــــــ قام ابن باديس على تعاليم الدين والحفاظ على هويته الوطنيّة، معلنا القطيعة مع الطّرق الصّوفيّة وولاء الأخير للاستعمار الفرنسي، فكان من المؤسسين لجمعيّة العلماء المسلمين، ورائد النهضة في الجزائر.

ـــــ تعاملت الصوفيّة مع الاحتلال الفرنسي على أساس حتميّة لا مهرب منها، فكانت تحاول أن تقنع الشّعب الجزائري بهذا المنطق، وتجعلهم يتقبلون وجودهم في أرض الجزائر، ولا يقوموا العداء منهم.

ـــــ أبانت فرنسا على فكر أيديولوجي استعماري الكولونيالي، فعمل على الإساءة إلى الآخر بكل السّبل والوسائل من قتل وتنكيل وتجويع... متجاهلا في ذلك جل معالم الإنسانيّة والقوانين الدّوليّة، ولم تراع في ذلك إلا مصالحها الخاصة.

ـــــ تميّزت شخصيات روايّة سيدي جليس بالجرأة في الطّرح والرّغبة في التّغيير، فأظهر ابن باديس حسه الثّوري، واتسم السيّد قطب بالخيانة والولاء لفرنسا، في حين مثّل القاتل أداة ووسيلة في يد المستعمر والمحتل معا.

ـــــ تعرّض القاتل المزعوم لخديعة من قبل الصّوفيّة والاحتلال، فعند فشله في قتل ابن باديس فكان له أن ينال جزاءه بالسّجن والتعذيب.

ـــــ عرفت روايّة سيدي جليس مفارقات زمنيّة، حضر فيها الاستباق بقوة مؤكدا على طبيعة الفكر الصّوفي الوهميّ، وحالة التّيه الذي يعيشها المتصوف الذي يلاحق أصحابه.

ـــــ شهدت رواية سيدي جليس أماكن مفتوحة وأخرى مغلقة، فحملت مدينة قسنطينة بامتدادها الواسع مجريات الأحداث بيّن السّارد بعض معالمها، وضمت في طياتها حيّزا مغلقة مثل المسجد، والمقصورة، والقبة.

كانت هذه مجمل النّتائج المتوصل إليها في موضوعنا، فنتمنى أن نكون قد وفقنا في دراستنا ولو بالنّذر القليل، واستطعنا أن نحيط بمكامن العمل وما تطرحه الرّوايّة من أفكار ونزاعات أيديولوجيّة، وإن شاء الله تتنامى الدّراسات في مجال الرّوايّة الجزائريّة، لما تحمله من ثقافة وخصوصيّة كبيرة، وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نقول كل شيء إذا ما تم نقصان، ما طاب بطيب العيش إنسان، والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين سيّدنا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم تسليما.

الملحق

ملخص رواية سيدي جليس:

في زقاق ضيقة من أزقة قسنطينة الظليلة يتربص شخص ما في يتربص شخص ما في الظلام منتظرا لكي يفتك بواحد من أعلام المدينة المصلحين، سوى أن هذا الأخير يتفطن للكمين المنصوب في أخر لحظة، ويتمكن في تفادي الضربات القاتلة والإفلات بأخف الأضرار، مع ذلك فإن المجرم لن ييأس وسيحاول إعادة الكرة من جديد حينما تسنح الفرصة...

الرواية مر على لسان المجرم الذي يستيقظ ضميره في مرحلة ما من المراحل، ويأخذ في المقارنة بين أولئك الذين عاشرهم حياته الماضية كلها متخذا منهم أمناء ورفاق درب، وبين أصحاب الإمام وتلاميذه الذين يحيطون به للإستفادة من عمله والدفاع عنه إذا لزم الأمر، إنها رحلة للشفاء من أسقام النفس ومزالق العقيدة، محاولة التكفير عن جملة الذنوب الماضية والأثام.

بتم القبض على المجرم فتبدأ رحلة طويلة من العذاب والشقاء الجسدي والنفسي، ولكن عقله سوف يتعرف على حقيقة الكاملة بعد حين، وهنا فقط سوف يقرر التكفير عن ذنبه العظيم إذ حاول إغتيال الإمام ولن يتم ذلك إلا بطريقة واحدة هي إعادة الكرة لإغتيال الدجال الذي أشار عليه أول الأمر بالقضاء على الإمام وإغراه بدخول الجنة ومغفرة ذنوبه جميعا.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش

الحديث النبوي

أولا: المصادر

01- ياسين نوار، سيدي جليس، نوميديا للنشر والتوزيع، الجزائر، قسنطينة،ط1، 2021

ثانيا: المراجع باللغة العربية :

2-ابن خلدون أبو زيدون عبد الرحمن بن محمد، شفاء السائل وتهذيب المسائل، تح محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، 3-ط1، دمشق، 1996م

4-أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني: تحقيق وضبط محمد سيد الكيلاني: المفردات في غريب 5-القرآن، دار المعرفة، بيروت.

6- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج1، 1992.

7-أبي نصر السّراج الطوفي، اللمع، تح عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديث، دط، 1380ه ـــــ 1960م، مصر.

8-أحمد محمد عطية: الرواية السياسية ـــ دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية ،10.

9-أحمد محمد عطية: الرواية السياسية ـــ دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية ـــ مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر.

10-أحمد موساوي، في أدب نجيب الكيلاني (أبعاد الصّراع وامتداداته)، مكتبة الآداب، ط1، القاهرة، مصر، 2009

11- جمال الدين أبي الفراج عبد الرحمن ابن الجوري البغدادي، تلبيس إبليس، دار الفكر، ط1، لبنان، 1431ه، 2001.

12- حسن بحراوي، بنيّة الشّكل الرّوائي، المركز الثّقافي العربي، ط1، بيروت، 1990.

13- حسن سيد سليمان: المدخل للعلوم السياسية، دار جامعة إفريقيا للطباعة، الخرطوم، السودان، 2010،

14- حلمي محمد القاعور، الرواية التاريخيّة في أدبنا الحديث، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ط2، دب، 2010.

15- حمدي حسين: الرواية السياسية في الرواية الواقعية، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 1994.
16- حميد الجمداني، النقد الروائي والايديولوجية، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1990، ط1
17- حميد الحمداني، بنيّة النص السّردي (من منظور النّقد الأدبي)، المركز الثقافي للدراسات والنّشر والتوزيع، ط1، بيروت، آب 1991

18- حميد لحميداني، النقد الروائي والايديولوجيا، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 1990.
19- رابح تركي، الشّيخ عبد الحميد ابن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتّربيّة في الجزائر، ط5، منشورات المؤسسة الوطنية للإتصال النشر والإشهار،2001

20- سالم المعوش، شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر، دار النهضة العربيّة، ط1، بيروت، لبنان، 2003.

21- سالم لعموش: صورة الغرب في الرواية العربية، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1998.
22- سعد عودة حسن عدوان، الشخصيّة في أعمال أحمد رفيق عوض الروائيّة (دراسة في ضوء المناهج النقديّة)،

23- سيد البحراوي، علم اجتماع الأدب، القاهرة، ط1، 1992.
24- سيد حامد النساج: بانوراما الرواية العربية الحديثة، دار غريب، القاهرة، مصر، ط2، د ت
الشاطبي ظبطه وصححه أحمد عبد الشافي: الاعتصام،دار شريفة، ج1.

25- عبد القادر أبو شريفة، مدخل إلى تحليل النّص الأدبي،دار الشّرق، ط1، القاهرة، مصر، 1998

26- عبد الله العروي، مفهوم الإيديولوجية، المركز الثقافي الغربي، بيروت، 1993، ط5
27- عبد الملك مرتاض، في نظرية الرّوايّة (بحث في تقنيات السّرد)، علم المعرفة، دط، الكويت، شعبان، 1998.

28- عبد المنعم القاسمي الحسني، أعلام التّصوف في الجزائر، دار الخليل للنشر والتوزيع، ط1، دب، 2005

29- عبد الوهاب محمدالمسيري، الإيديولوجية الصهيونية.

30- علاء الدين سعد جاويش: الاتجاه السياسي في الرواية العربية.

31- عمار الطالبي: ابن باديس حياته وآثاره، دار ومكتبة الشركة الجزائرية للتأليف والترجمة، للطباعة والنشر، ط1، 1998.

32- فيصل دراج: الواقع والمثال، مساهمة في علاقات الأدب والسياسة، دار الفكر الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 1989،

33- قايد محمد، سحنين علي، أبحاث في الرواية ونظرية السرد، طاكسندج كوم للنشر والتوزيع، الجزائر، دط،2014.

34- لوحاني طارق، الرواية العربية في الجزائر، دراسة تحليلية، دت، دط

35- مالك بن نبي، مشكلة الأفكار (في العالم الإسلامي) تر بسام بركة و أحمد شعبو، إشراف عمر مقاوي، دار الفكر المعاصر، ط1، بيروت، لبنان،1988

36- محمد الامين البحري، بنية الخطاب الأساوي في رواية التسعينات الجزائرية.

37- محمد البشير الإبراهيمي:آثار البشير الإبراهيمي، ج1

38- محمد بن عبد العزيز العواجي، إعجاز القرآن الكريم (عبد شيخ الإسلام ابن تيميّة مع المقارنة بكتاب إعجاز القرآن للبقلاني)، تد حكمت بن بشير بن ياسين، محمد عمر عبد الله حويّة، ط1، مكتبة جار المنهاج، الرياض، 1428.

39- محمد بن عبد الوهاب: القول السديد في مقاصد التوحيد.

40- محمد بن مبارك الميلي، الشرك ومظاهره، ج4.

41- محمد رياض وتار، توظيف التّراث في الرواية العربيّة المعاصرة، اتحاد كتاب العرب، دط، دمشق، سوريا، 2002.

42- محمد كامل الخطيب، الرواية والواقع، دار الحداثة، بيروت، لبنان، ط1، 1981

43- محمد مرتاض، التجربة الصّوفيّة(عند شعراء المغرب العربي)، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، 2009، الجزائر .

44- محمد مسلم، الهويّة في مواجهة الاندماج عند الجيل المغاربي الثاني بفرنسا، وزارة الثقافة الجزائري، دط، الجزائر، 2009

45- المسيري عبد الوهاب محمد ,الايديولوجية الصهيونية ،دراسة حالة علم اجتماع المعرفة ،سلسلة عالم المعرفة ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت.

46- مها حسن القصراوي، الزّمن في الرّوايّة العربيّة المعاصرة، دار فارس للنّشر والتّوزيع، ط1، 2004،

47- مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثيّة حنا مينا (حكاية بحارـــــ الدقل ـــــ المرفأ البعيد)، منشورات الهيئة العامة السّورية للكتابـــ، دط، دمشق، سوريا، 2011

48- هابل عبد المولى طشطوش: الاتجاهات المعاصرة في العلوم السياسية، دار البلدية، ناشرين وموزعين، 2014.

49- يمنى العيد: الرواية العربية ـــ المتخيل وبنيته الفنية ـــ دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2011.

ثالثا المراجع المترجمة :

49- ادوارد سعيد، العالم والنص والناقد، ترجمة عبد الكريم محفوظ، اتحاد.....العرب، دمشق ، سوريا، 2000.

50- بيير شارتيه: مدخل إلى نظريات الرواية، تر، عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1

51- جاك رانيير : سياسة الأدب، تر، رضوان ضاضا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2010

52- جيرار جينيت، خطاب الحكايّة (البحث في المنهج)، تر محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي وعمر الحلى، المجلس الأعلى للثّقافة، سوريا، 1997.

53- رينيه ويلك وأوستن ورين، نظرية الأدب، ترجمة محي الدين صبحي، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب دمشق، دت، دط،

54- ميخائيل باختين: الخطاب الروائي، تر محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1987

رابعا: المعاجم:

55- إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، معجم اللغة العربية، مطابع دار المعارف، مصر، ط2،جزء1.

56- إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر صفاقي، الجمهورية التونسية، ط1، 1986

57- ابن منظور، لسان العرب، ج7، باب الشين، مادة شخص

58- أحمد خليل الفراهيدي، كتاب العين، ج2، باب الشين، مادة شخص

59- بطرس البستاني: محيط المحيط قاموس مطول للغة العربية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، 1987.

60- جبران مسعود الرائد، معجم ألفبائي في اللغة والأعلام- المؤسسة الثقافية للتأليف والترجمة، بيروت،ط3، 2005

61- جبران مسعود: الرائد ـــ معجم لغوي عصري ـــ دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط8، 2001

62- عبد الرضا حسين طغان وآخرون: موسوعة الفكر السياسي عبر العصور، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، د ت

63 - فتحي ابراهيم، معجم المصطلحات الأدبيّة، المؤسسة العربيّة للناشرين المتحدين، دط، تونس، 1986.

64- لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرّوايّة، دار النّهار للنّشر، ط1ـــ بيروت، لبنان، 2002

65- محمد عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة، دراسة ومعجم إنجليزي، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، 1996م، ط1

خامسا: المجلات والدوريات:

66- الطيّب العماري، الزوايا والطّرق الصوفيّة بالجزائر (التحول من الدّيني إلى الدّنيوي ومن القدسي إلى السّياسي) - دراسة أنثروبلوجيّة مجلة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، العدد 15، بسكرة، جوان 2014.

67-الطيب بودربالة والسعيد جاب الله، الواقعية في الأدب، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، عدد07، 2005،

68- جميل الحمداوي: الرواية السياسية والتخيل السياسي، مجلة الكلمة، العدد 04، 2007.

69- حازم مجيد أحمد الدوري، عبد الحميد بن باديس حياته ودوره السياسي والثقافي 1889- 1940،مجلة جامعة زاخو، المجلد1، العدد2، 2013

70- حنينة طبيش، مستويات اللغة في روايات الأعرج واسيني، مجلة إشكاليات، العدد التاسع/ ماي، 2016

71- زهير محمود عبيدات، صورة المدينة في الشعر العربي الحديث، دار الكندي، دط، الأردن، 2007

- عبد الكريم ناصف: الأدب والسياسة، مجلة 'الموقف الأدبي' حوليات جامعة قالمة للعلوم الانسانية والاجتماعية، العدد 26، جوان 2019.

72- عبد الكريم ناصف: الأدب والسياسة، مجلة الموقف الأدبي، العدد 388، السنة الثالثة والثلاثون، اتحاد الكتاب العرب، دمش، سوريا، أ ب 2003.

73- فهمي توفيق محمد مقبل، عبد الحميد ابن باديس رائد الإصلاح والنهضة في تاريخ الجزائر الحديث، مجلة الدّرعيّة، العدد العشرون، مارس 2003

سادسا: مذكرات تخرج

74- سكينة مدور، محاضرات في السرد الجزائري المعاصر-مظاهر التجريب الروائي في الرواية العربية- ثانية ماستر- أدب حديث، 2016.

75- صوافي بوعلام ، محددات الأنا والآخر في المتن الروائي الجزائري الجديد ، إ : د أحمد مسعود ، جامعة أحمد بن بلة وهران، 2014 2015

76- فراس حمد فرسوني، الفكر التّحرري عند عبد الحميد بن باديس وأثره في استقلال الجزائر، إشراف محمد عوض الهزايمة، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا، 2009.

77- محمد بوقفحة، التّناص في الشّعر الجزائري المعاصر،إشراف عبد الوهاب ميراوي، رسالة دكتوراه، كليّة الآداب والفنون، جامعة أحمد بن بلة، وهران.

سابعا:المؤتمرات والندوات:

78- إشراف نبيل حداد، تحرير محمود دباسة، تداخل الأنواع الأدبية، مؤتمر النقد الدولي الثاني عشر، عالم الكتب الحديثة، جامعة اليرموك، ط1، مج2، 2005

الفهرس

البسملة

شكر وعرفان

الإهداء

مقدمة.....أ– د

مدخل: ماهية الرواية العربية..... 06

الفصل الأول: المفاهيم والمصطلحات النظرية للأديولوجيا والسياسة

المبحث الأول: ماهية الأديولوجيا والسياسة.....21

المبحث الثاني: مفهوم كل من الشخصية والزمان..... 39

الفصل الثاني: تجليات البعد الأيديولوجي والسياسي في رواية سيدي جليس.

المبحث الأول: تمظهر البعد الأيديلوجي والديني والسياسي في الرواية.....44

المبحث الثاني: فاعلية الشخصية وأبعادها الأيديلوجية والمشكلات الزمن مكانية..... 67

خاتمة.....94

ملحق: ملخص الرواية..... 98

المصادر والمراجع.....100

الفهرس..... 107

ملخص المذكرة.....109

ملخص المذكرة

- تعد الرّواية شكلا ممتدا منفتحا على باقي الأشكال الأدبيّة الأخرى، زاخرة بمعالمها وخلجاتها الفنيّة وقضاياها المتنوعة سواء كانت أدبيّة أو غير أدبيّة، فارتقت لأن تكون من أكثر الأنواع النّثريّة رواجا لما تقدمة من أيديولوجيات المختلفة جعلتها مرآة عاكسة لكثير من هموم المجتمعات وانشغالاتها.
- عملت رواية سيدي جليس لياسين نوار على التّغلغل في المجتمع الجزائري والاغتراف من ذاكرته الحيّة وخلفياته الدّينيّة والسّياسيّة، وأفكاره العقائدية، فعبرت عنها الشّخوص زمنيّا بفترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، فطرحت عدّة قضايا شائكة وإيديولوجيات مختلفة.